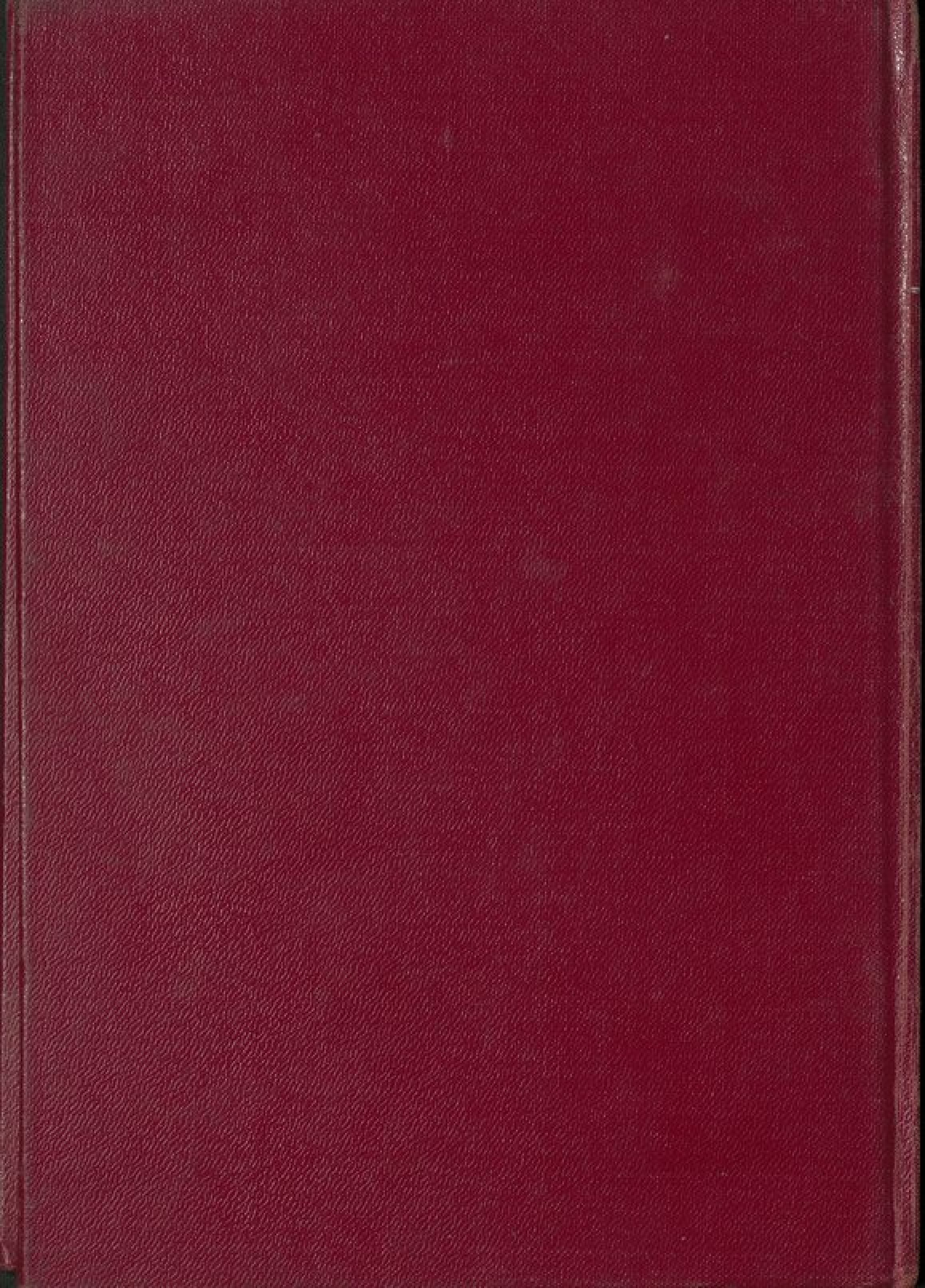
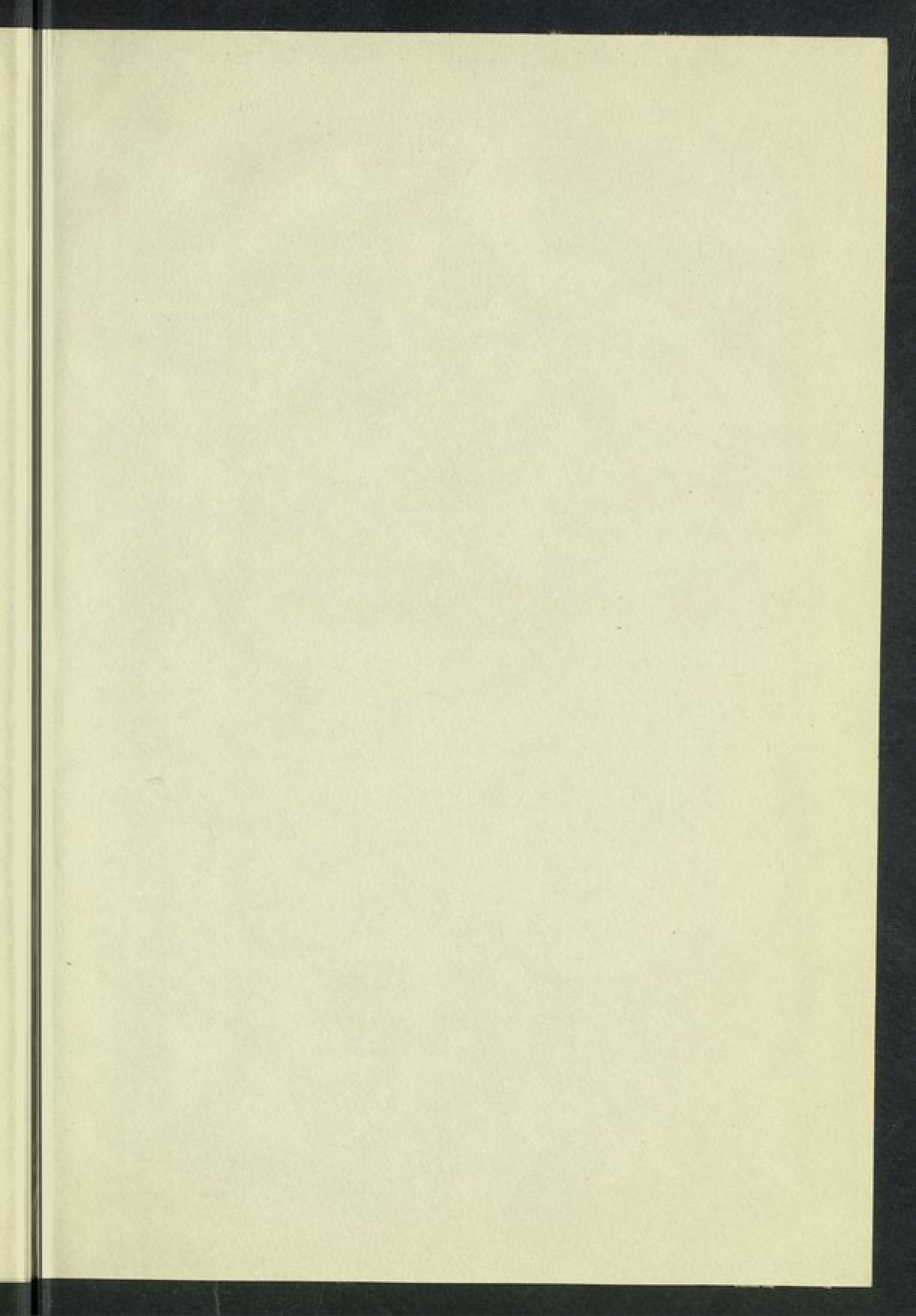
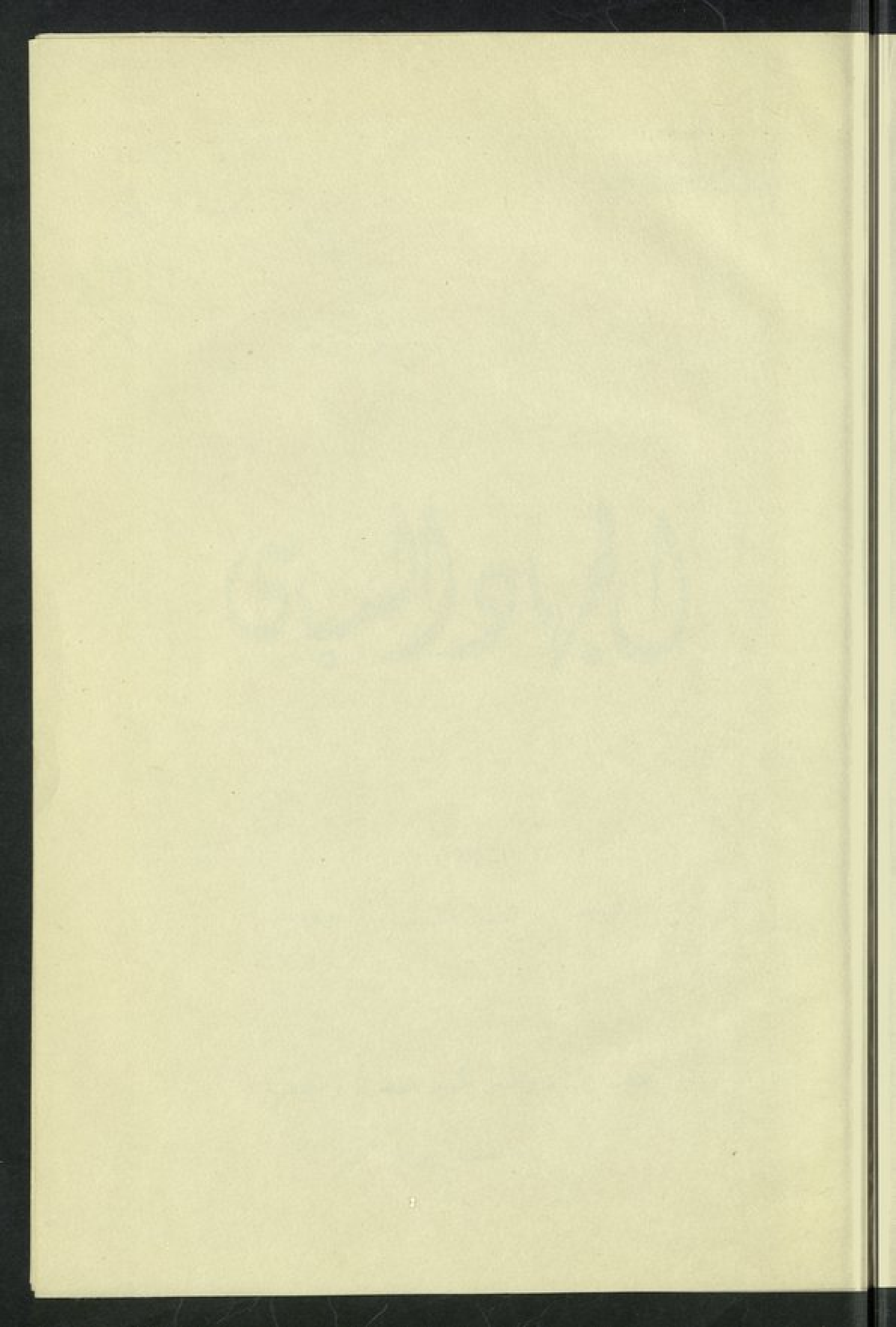
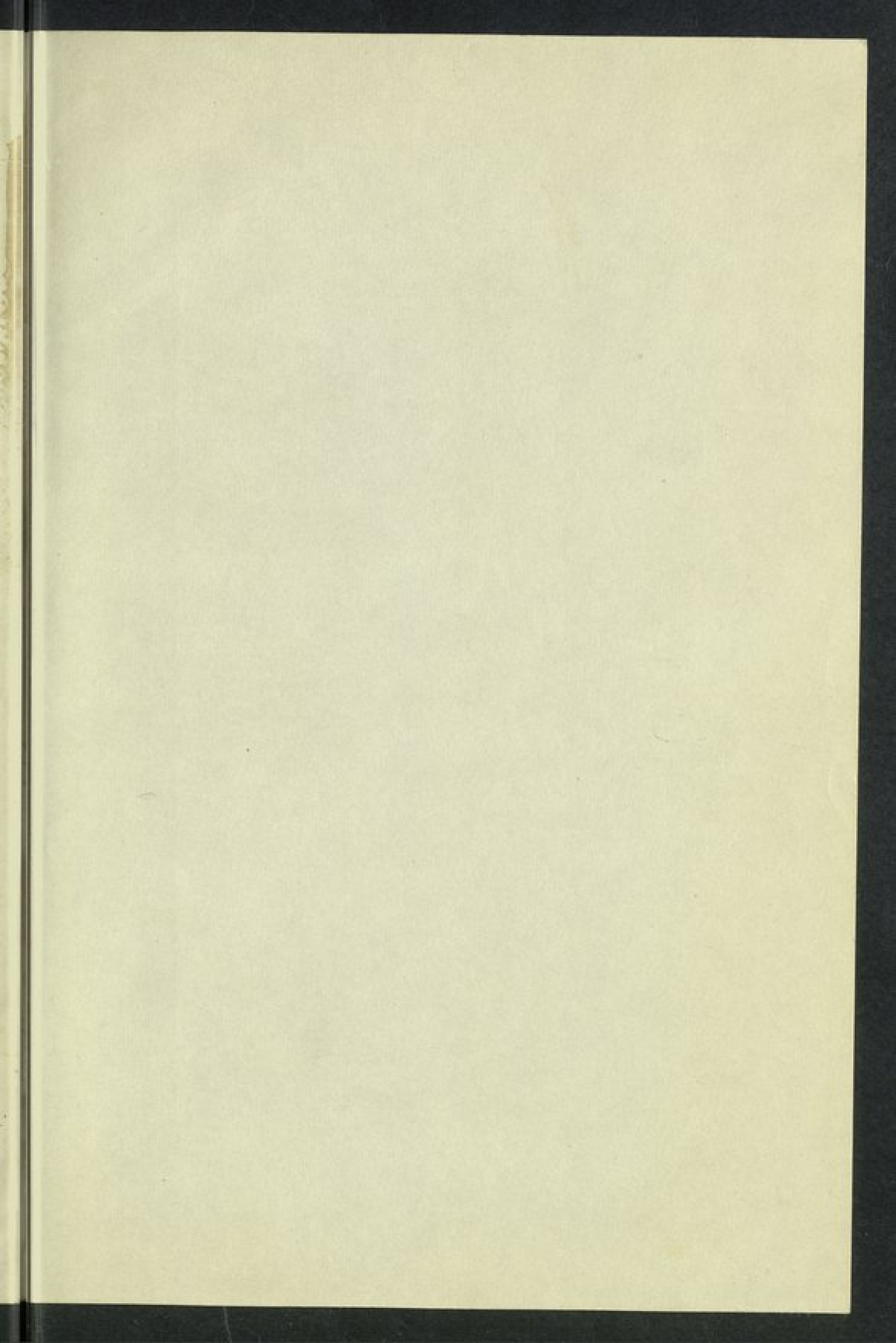








الطبيب
عبد الرحمن الكيالي

الجهاد السياسي

١٣٦٥ الطبعة الاولى ١٩٤٦

عنيت بنشره وطبعه المكتبة العصرية ومطبعتها

حلب ــ السويقة





الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ
هُمُ الفَائِزُونَ .

« التوبة »

اهداء الكتاب

تنازع الناس بسائق الغريزة لتأمين الحياة ، وكان فيهم القوى والضعيف ، وظهرت الشرائع لاعطاء كل ذي حق حقه ! وكان الجدال بين الحق والباطل ، وتألفت الهيئة الاجتماعية لصيانة الافراد وحفظ المجموع ، وكان النزاع بين منفعة الفرد ومنفعة الجماعة ، ونشأ (الوجدان الاجتماعي) لتحديد الضرر وتقدير الخير بتوالي الحاجة ، ولزوم حماية الضعيف وتهذيب القوى ، وتعيين الواجب ، وكان الانتقال من (الانانية) الى (الغيرية) ومن (استبداد الفرد) الى (حكم الجماعة) ومن (الفردية اللاتعاونية) الى (التعاونية الديموقراطية) .

وبعد جهاد عالمي دام ألوفا من السنين في سبيل بقاء الاصلح واختيار الانسب اقرّ العالم مبدأ العدل ليتساوى الناس امام القانون في الحقوق والواجبات ، كما اقرّ مبدأ (الصالح العام) المصلحة العامة او (العدل الاجتماعي) لينال العامل اجر عمله، وطالب المعاش قوت يومه ، ومحروم الحماية والاسعاف حق الاسعاف وحماية حقه وعياله ، واقر مبدأ (التعاون المشترك) ليعيش الافراد ، وتعيش الامم ، كل ضمن مقدرته وطاقته وكفاءته ، وبحق كسبه وجهده ، متعاونين معاً ومتبادلين جميعاً الفوائد الناتجة عن استثمار قوى الطبيعة وتشغيل اليد العاملة ، متقاسمين الاضرار الناتجة عن طبيعة الحياة وطبيعة الاجتماع ، متمتعين بالرفاهة العامة دون حرمان احد حقه ، او منعه من الفرص اللازمة لانماء مواهبه وقواه الخلقية والبدنية .

اما وقد انكرت المدنية المشبوعة بالظلم والعدوان والانانية هذه المبادئ ، وتغلب القوى على الضعيف ، وكاد يحرم الفرد بل الامم الصغيرة والمتأخرة حق التحرر ، والاستقلال ، لتنازع الدول القوية السيطرة والفتح والاستعمار ، حتى غدت البشرية في القرن العشرين مهزلة ومأكلة ، بل مصيبة عامة بما لدى المتمدنين من وسائل التدمير ،

ومعدات الهدم والفتك ، وبما حدث بين اقوامها من حروب بربرية اوقدتها الرأسمالية ، واليهودية المستترة ، والقومية الثائرة ، والاستعمارية الجشعة ، والشهوانية البهيمية ، والمادية الحيوانية ، اما وقد وقعت الحرب الهمجية العامة ، وكانت تخريباتها وتدميراتها وفظائعها وليدة تلك العوامل ، ونتيجة حرص الرؤساء والزعماء على كنز الاموال واشباع الغرائز ، وسببا للعراك الدموي الهائل الذي اودى بحياة الملايين من البشر ويتم الاولاد واثكل الامهات ودمر المنتجات البشرية التي تعبت العقول في انتاجها وتشييدها وابتكارها وصنعها ومسخ الطباع التي هذبتها التربية ، وصقلها العلم ، وافسد الاخلاق التي كانت سياجاً للآداب ووازعا للنفوس .

اما وقد كان من تعاسة البلاد العربية عامة ، والسورية خاصة ، ان يحتل الحلفاء انكلترة وفرنسة معظم اجزائها ، وان يعتدوا على اقدس حقوقها ، وان ينكلوا عن عهودهم التي قطعوها لزعيم الثورة المرحوم (الملك حسين الهاشمي) ، وان يخالفوا ما ادعوه انهم حاربوا للقضاء على الروح الالمانية العسكرية وتخليص الشعوب التي كانت محكومة للسلطنة العثمانية .

اما وقد شاءت (الاتفاقات) السرية الاستعمارية ان تدخل فرنسة بلادنا قوة واغتصابا باسم (الانتداب) شيطان عصبة الامم ، وتدعي لنفسها حق الوصاية علينا بزعمها اننا قاصرون نجهل مصالحنا ، او اننا صغار العقل لانعرف معنى الاستقلال ، فيرتكب عمالها الممثلون للمدنية الحديثة من الاعمال الفظيعة والحوادث المريعة ما يسود منه وجه التاريخ وتتبرأ منه الحضارة وتنفر الانسانية .

اقول اما وان الامور كما علمت وكما وصفنا ، والوقائع كما سمعتها وتسمعها ، فوضع كتاب يبحث عن الجهود السياسية التي بذلها رجالات سورية المجاهدون لخلاص امتهم وتحرير بلادهم ودفع الغاصب عن وطنهم ، ويبين ماهية مساعيهم ونتائجها والطرق التي سلكوها — هو كتاب مفيد لمن يعطف على الامة العربية والبلاد العربية ، وينتصر للمظلوم وان علا شأن الظالم .

ولاجل هذه الغاية ادون ما وعاه صدري وحفظته ذاكرتي وانا في سجن (ارواد) منفى الاحرار لا املك كتابا ولا اجد مستنداً ، واهديه ذكرى لاخواني شهداء الوطن والمبعدين السياسيين والمهاجرين الى البلاد النائية ، ولكل من عاش تحت سماء سورية الجميلة وسعى لمجدها وحريتها واستقلالها ولمن لايزال عاملافي هذا السبيل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) .

في ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٢٦ الطبيب

عبد الرحمن الكيالي

محتويات الكتاب

صحيفة

٩ الفصل الاول في الجهاد السياسي .

تعريف الجهاد السياسي ، الامور التي يتطلبها ، الدوافع الموجوده ، الغاية منه .

٤ الفصل الثاني في نشأة الجهاد السياسي

السياسة وانواعها ، علاقة السياسة بالوطنية ، شروط الجهاد السياسي

١٥ الفصل الثالث : جهود سورية في الماضي والحاضر .

(١) الباب الاول جهود سورية في الماضي البعيد

(٢) الباب الثاني جهود سورية في الماضي القريب ، ايام العثمانيين والانكليز والحكومة العربية ، وحكم فيصل .

٥٨ (٣) الباب الثالث الجهاد السياسي ايام الفرنسيين من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٦ ، التنظيمات الادارية ، والخطط الاستعمارية .

٧٧ الفصل الرابع : الثورة واسبابها من عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٢٦ وما هي نتائجها .

٨٨ الفصل الخامس : نتائج الجهاد السياسي ايام الفرنسيين من عام ١٩٢٠ الى ١٩٢٦ .

٩٢ الفصل السادس : الميثاق الأعلى او الميثاق الوطني .

١٠٢ الفصل السابع : ذهنية الفرنسيين واستعمارهم .

١

الفصل الاول

الجهاد السياسي

تعريف الجهاد السياسي ، الامور التي يتطلبها، الدوافع لوجوده ، المقصود من الجهاد السياسي

الجهاد السياسي — عمل يصدر عن الافراد والجماعات المشتغلة في المسائل السياسية للوصول الى غاية معينة تكون لمصلحة الحكومة ، او الشعب ، او الوطن ، او لمصلحة جماعة ما سواء أكانت هيئة قومية ام حزبا سياسياً ، وهو يقوم على اساسين: (١) المبادئ التي تبنى عليها الاعمال (٢) الكيفية التي تسير عليها الاعمال ، فاذا تقرر ما ذكر فالجهاد السياسي الذي يتطلب وجود فكرة معينة وزمناً صالحاً كافياً لادامة التجربة يكون « عملا مجرداً » لا ينتظر القائمون من ورائه ما تنتظره الافراد من عملها اليومي ، وكسبها المعتاد : كالموظف من معاشه او التاجر من بيعه او الزارع من زرعه ، ولكن ما ينتظره العالم من علمه ، والمخترع من اختراعه ، والمحسن من احسانه ، والمبشر من هديه اذ وراء هذه الاعمال المجردة (غيرية عامة) — لا (نفعية خاصة) — ، تتولد في النفس مع الاستعداد والتربية والاختبار وتنمو وتقوى حتى تغدو دافعاً قويا ورغبة ملحة وذوقاً مستحوذاً تسوق صاحبها الى العمل عند وجوب العمل ، واداء الواجب عند صرخة الضمير ، دون تقيد بمنفعة خاصة او خوف عاقبة وخيمة . وفي الاجابة والتنفيذ للدافع والرغبة والذوق تكون (الوطنية) كما يفهمها هؤلاء الاشخاص الملهمون .

وقياساً على هذا المبدأ نجد الطبيب الشريف يشعر بضرورة العناية بالمرضى ومساعدة المصابين وبالبحث عن العلل وموجبات الصحة واعداد ما يلزم من وسائل وأدوية ومختبرات وكلما ازداد علمه وازدادت تجاربه نما الشعور في نفسه واقتنع بان الخير والاسعاف والمساعدة ضرورات ملازمة له ومجلبة للذته الروحية ، ورضائه الوجداني .

فاذا ما صادف دماً ينهمر من جرح او صادف رجلا تكسر من سقطة او ضربة ، اسرع من تلقاء نفسه الى تضميد الجرح وجبر الكسر بدافع الواجب ولذة العلم خوفاً من ان يقضي الحادث على صاحبه فتضيع الحياة وهو موكل بحفظها ومعالجتها ، ولو لم يفعل واهمل ما بامكانه ان يفعله لساءت شهرته وتضاءلت مقدرته وتعذب وجدانه ، ولو فعل وأدى الواجب وصرف من الجهد ما ينبغي ، لشعر بالراحة واللذة الحقيقية وزاد تعلقه بمهنته وثقته بعلمه . ومثل ما على الطبيب من واجبات الطب والطبابة ، على المرشد الحقيقي صاحب الشعور الحي واجبات تسوقه الى الجهاد والارشاد بعامل الخير وحب الاصلاح ، وتفرض عليه ان يركب الاخطار ويستهين بالمصائب ، ولو لحقه الاذى وصادفته الصعوبات لانه في كل حال يقوم بالواجب. والواجب يتطلب منه العزيمة والثبات وبذل الهمة. ولهذا اذا رأى الرذيلة فاشية والضلالة مستحكمة ولم يابه داعي الرشاد ولم يؤد واجب الاصلاح خرج من زمرة المرشدين ولم يعد داعية الرشاد بل دعياً وعالة على المصلحين ، فيفقد الشعور الذي يهبط على القلب الصادق وتنحل منه القوة التي تحبب للنفس الاحسان واداء الواجب ، ويكون كما قال الرسول (ص) : (العلماء أشر الناس اذا فسدوا) .

ولا شك ان الانبياء والرسل واصحاب الدعوة والمذاهب الاصلاحية هم خير مثال يحتذى لمن يؤدي واجبه بوحي الشعور المقدس والهام العقيدة الثابتة واستعداد النفس السامية ، يستمرون في جهادهم مدى الحياة ، غير هيابين ولا وجلين ، ولا تأخذهم في الحق لومة لائم ، ولا يصدنهم عن دعوتهم عذاب ظالم ولا قيام غاشم حتى يتموا رسالتهم ويختموا أعمالهم .

وما يقال عن الطبيب والمرشد الصالح والرسل الكرام واصحاب الدعوة المخلصين يقال عن المجاهدين الذين يتطوعون لنصرة أمتهم وانقاذ وطنهم عندما تضطرب قواه ويختل توازنه ، او يحتله العدو وتسوده الفوضى او تكثر فيه المظالم ، فيشعرون بضرورة الجهاد والمقاومة وواجب الدفاع والانقاذ ويمشون في عملهم بالهام الوطن وشعور الواجب ووحي العقيدة والمبدأ ، ويواصلون جهادهم بثبات وعزيمة وتضحية حتى ينالوا بغيتهم .

وتمييزاً لهم عن القاعدين (اي الحياديين) ، والمتكاسلين (اي المنتظرين) ،

والانتهازيين (اى المستثمرين عبدة المنافع) ، يسمى الذي يحمل « الفكرة » ويدعو لها ويعمل في سبيلها (الزعيم) ويسمى الذين ناصروه وآمنوا بدعوته وجاهدوا في سبيلها (المجاهدون) ، ومن تخلف عنهم يسمون (العامة) او المخلفون ، وهذه شأنها ان تتبع كل ناعق ، ومردها الى المطامع والاهواء ، (وكل اناء بالذي فيه ينضح) .



الفصل الثاني

نشأة الجهاد الوطني ، السياسة وانواعها ، علاقة السياسة بالوطنية ، شروط الجهاد

تبين من المقال الاول ان للجهاد السياسي دافعاً طبيعياً مبعثه (غريزه الانسان الفردية) التي خلقت (لدوام البقاء) و (غريزة الانسان الاجتماعية) التي خلقت (لدوام النسل) فالاولى تحثه على بذل الجهود لصيانة نفسه ، والثانية تحثه على بذل الجهود للدفاع عن مصالحه المشتركة مع غيره .

ومن حاجة الانسان للبقاء والدفاع وجد التعاون واقتضى التعاضد ، ومن اضطراره للتنازع والاجتماع وجدت المشاركة واقتضت توحيد الجهود مع الشركاء في الهيئة الاجتماعية لتبادل المنافع وتقاسمها ضمن الحدود المرسومة لسلامة المجموع .

ومن هذين المبدأين انبعث (الوجدان الاجتماعي) والشعور الوطني ، وتكون (الوطن) عند الاستقرار في بقعة محددة من الارض ، ونشأ (المثل الاعلى) للافراد والجماعات : عشيرة ، وقبيلة ، وأمة ، ودولة ، وأقواما ، وأمما .

وبانتقال الانسان من الفردية الى الاجتماعية ضمانا للبقاء وسلامة المجموع ، وبادراك الحاجة الى هذه الحقيقة والشعور بأهميتها وضرورتها ، انتقل (الجهاد الفردي) الذي مبعثه (الغريزة الفردية) كما اشرنا اليه ، الى (الجهاد المشترك) الذي مبعثه (الغريزة الاجتماعية) ، وبتقدم المتنازعين وترقي العاملين وقيام الوازع ، تألفت الجمعيات والجماعات والاحزاب والدول .

ومما هو ثابت ان غريزة حفظ الذات الموجبة للتنازع بين الافراد ، وغريزة الاجتماع الموجبة للتنازع بين الجماعات والاقوام كلتاهما عامل في الحرب والسلم ، عامل في سياسة الاستعباد والاستقلال .

وتدلنا وقائع الحرب والتاريخ ان سلاح التنازع والدفاع الذي كان يستعمله الانسان

لمقاومة خصمه وقهر عدوه لم يبق على صورة واحدة بل تطور (١) بتطور الفكر والحاجة فما كان في البدء مقتصراً على — الحجر والعصا والعظم والسهم والحربة والنار تحول الى السكين والرمح والسيف ، ثم تطور فصار من منتجات الكيمياء كالنار المحرقة والبارود ومن المخترعات الحديدية والنحاسية كالمدافع والمنجنيقات والبواريد ثم تطور فصار الى الادوات الحربية الحديثة كالغازات الخانقة والاشعة المحرقة والقذائف المتفجرة والمدافع الهادمة ، وغيرها ؛ ثم بترقي الفكر وتقدم العلم اتخذ الانسان سلاحاً آخر ووسائل أخرى أشد فتكا واعظم تأثيراً وهي الحروب الاقتصادية والسلم المسلح ، وكل يعلم ما فيها من معدات هوائية وبحرية وأرضية ، وما يقتضيها من جهود وأعمال وتدابير وارتباطات دولية .

ولما كانت الامة وهي مجموعة افراد تواضعوا على مصلحة مشتركة تسير في تطوراتها نظير الفرد للدفاع ، والمقاومة ، والحرب ، والسلم ، في سبيل حفظ الذات والنوع وتأمين المنفعة والعيش وكانت عوامل المنفعة هي المهيمنة ، وكان الجهاد الوطني هو اعداد وسائل الدفاع ووسائل التفوق ووسائل الرفاهية ووسائل الاستقرار ، تكون « الوطن » وتكونت معه « الدولة » التي يقع على عاتقها مسؤولية العمل لحماية الوطن وحماية مصالحه وحماية شعبه ثم ان الدولة وهي كل ما في الوطن من حكومة ومجلس وشعب وتراث وسيادة وثروة وجيش ومدن ، تفرعت منها عدة وظائف : فالحكومة وهي (القوة المشرفة) على ادارة امور الوطن تنقسم الى وحدات : ادارية ، وتشريعية ، وقضائية ، ودفاعية ، وتنفيذية . ولكي تؤدي الحكومة واجباتها اي وظائفها في الدفاع والحرب وادارة المصالح والقضاء بين المتنازعين وقمع الفتن ومنع الجرائم وسن الشرائع والانظمة وتأمين المواصلات والنقل والمخاطبات وتهذيب الناشئة ورعاية المرضى والمصابين والعجزة واعمار المدن والطرقات وتدارك المال وفرض جبايته وحفظ الامن والاموال والارواح وتسهيل المشاريع العامة وحماية المصنوعات والآثار وغيره مما هو ضروري للعمران والتجمع ولاستكمال اسباب نهوض الامة وترقي الوطن ، جعلت اعمالها على اساس « تقسيم الاعمال » و « تقسيم الدوائر »

(١) لم تستعمل كلمة (تطور) في كتب اللغة بمعنى تغير من حالة الى حالة ومع هذا فقد آثرت استعمال هذه الكلمة لان اشتقاقها من (طور) صحيح ولان غيرها لا يفي بالمعنى العلمي وهو تغير الحالة الى حالة اخرى .

فكان من وظيفة (الجيش) ان يحمي حدود الوطن من كل اعتداء خارجي وان يقر السكينة بين الاهلين في الداخل ويقمع الثورات والفتن اذا حدثت، ومن وظيفة (الشرطة والدرك والعسس) حماية الامن وتسهيل السير وتوقيف المعتدين والمجرمين ، ومن وظيفة القضاء (بحكامه ، ومحاكمه ، وشرائعه وقوانينه) الفصل بين الناس فيما ينشأ بينهم عادة من الخصومات والاختلافات والمنازعات ، وتوزيع العدل بين الجميع وردع الظالمين ومساعدة المظلومين وفرض العقوبات على المعتدين والمجرمين ، ومن وظيفة (الادارة) الاشراف على عمال الدولة وتيسير مصالح الناس وتعيين الموظفين والمأمورين لتنفيذ اوامر الحكومة بما فيه المصلحة العامة ، ومن وظيفة (الدوائر الاخرى) او الوحدات الاخرى من الحكومة القيام ببقية الامور كالتعليم ونشر العلم بين الاحداث وفرض الضرائب والمكوس وجبايتها وحسن صرفها وتأمين الطرق والمواصلات وحمل البريد والرسائل وحفظ العلاقات بين الدول وتسهيل التجارة وتبادل الصناعات .

ومن هذا التقسيم والاختصاص نشأت « السياسة » التي هي علم بكيفية ادارة تلك الشؤون بأساليب وأنظمة يخضع لها الجميع وتوصل الى الغاية المنشودة من وجود الدولة والحكومة .

ولما كان للسياسة تعلقات عديدة في مختلف شؤون الدولة ولها علاقاتها بالدول الاخرى فهي ان توجهت باعمالها الى الامور « الدولية » سميت « بعلم السياسة الدولية » واذا تعلقت بالمصالح التي غرضها جمع الثروة وتميتها ومعرفة طرق اتفاقها وتوزيعها حسب النواميس الاقتصادية سميت « علم الاقتصاد السياسي » ، واذا تعلقت بالشؤون الرامية الى الفتح والاستعمار والاستثمار سميت « علم السياسة الاستعمارية » او « علم الاستعمار » ، وهكذا تتفرع موضوعات السياسة وانواعها التي هي من موجبات الدولة وبقائها .

وحيث علمنا تطورات الدفاع في عهد الفردية وتكونه في عهد الاجتماعية ، وأدركنا معنى الوطن ومعنى الدولة وواجباتها واعمالها وتفرعاتها السياسية ، نقول لمن يريد الاشتغال في مسائل الدولة العامة عليه ان يفرض نفسه جنديا متطوعا يلزمه الجهاد الوطني سواء أكان موظفاً ، ام مواطناً عاملا ، ام زعيما مترأساً ، ام صانعاً بسيطاً ، ام اي رجل كان لان الواجب وحده هو الذي يدعو الى الجهاد ، والجهاد في هذا السبيل هو الوطنية الحقة

وهو القوة المقدسة .

وتتضح لنا ان الجهود السياسية ذات علاقة بالحكومة والمجتمع كما هي ذات علاقة بالفرد والجماعات وانها في كل حال العامل في نشوء الاحزاب وتكوين الهيئات وربطها بعلاقات متينة ، قد تكون في بعض الاحيان سبباً قوياً لظهور الاديان ، والمذاهب ، والطوائف ، والفرق التي علمناها في تاريخ الدول والحضارات وبدونها — اي بدون الجهود السياسية — لاتنفذ غاية عامة ولا تنجح خطة دفاعية ولا تقوى تدابير اصلاحية .

ان الجهود التي تقتضي هذه الامور ليست وحدة محدودة لاتتبدل ولا تتجزأ ، بل هي مجموعة تطورات وانتقالات وسلسلة تحولات طبيعية واجتماعية ، فتعيين ماهيتها والتنبوء عن نسبة نجاحها وعدم نجاحها والبيان عن زمن بدئها وزمان نتاجها موقوف على حالة الافراد وقوتهم الحيوية والديناميكية (١) وعلى مقوماتهم القومية (٢) وعلى طبيعة محيطهم واستعدادهم وعلى مقدار قوتهم الفكرية وعلى نسبة رقي المجتمع البشري ، ولذا تتباين الجهود وتتلون وتختلف ازمانها ومراميها وطرقها وثمراتها .

ومن المقايسة والتدقيق نرى ان جهود الغربيين السياسية في وقتنا الحاضر وقبله بقرن ونصف — هي ذات نظم ، وقوة ، ونتائج مثمرة أفادت اصحابها اكثر من جهودنا نحن الشرقيين بسبب سبقهم في النظام المدني والتكامل الثقافي ، ونضوج معارفهم في مجال الطبيعة ، وقيام دولهم على أسس القومية والوطنية والانظمة النيابية التي لم نعهدها في الشرق قبل خمسين سنة ، واحترامهم الحرية والرأي — والتعاون المشترك بين افرادهم واشتراك المرأة والرجل في ميادين العلم والعمل والحياة .

وقد ساعدتهم العوامل المذكورة على اكمال صناعتهم وتقوية تجهيزاتهم الدفاعية ومعداتهم الاستعمارية فاستطاعوا التغلب على غيرهم ممن لم يكن مثلهم وتمكنوا من فتح

(١) اي القوة المحركة وكلمة « دينامو » كلمة اعجمية تفيد الالة التي يتولد عن تحريكها الدائم « الكهربائية » .

(٢) المقومات القومية : هي التاريخ واللغة والدين والماضي في الحضارة والثقافة ووحدة الجنس .

البلدان واستعمار الامم المتأخرة التي كانت ضعيفة في وسائل المقاومة ولم يكن بمقدورها تطبيق مبادئ العلم في ضروراتها الحياتية ولم تعرف اصول الشركات ولا اصول العمل التعاوني المشترك .

ولم يستعمر الغربيون ما استعمروه من بلدان الشرق واقطاره بالفتح الحربي والآلات الحربية الحديثة فحسب ، بل لجأوا في اكثر مواقفهم الى الفتح الصناعي والفتح الديني التبشيري ثم الفتح الاجتماعي والفتح الاقتصادي حتى تمت لهم الغلبة علينا وعلى امثالنا وكان حقاً علينا ان نغلب لأننا كنا متأخرين علماً وصناعة ومدنية ، وكنا في غفلة عن اساليبهم وسياستهم ، وفي عقلية بعيدة عن فهم العصر ومقتضيات الزمن . وفي جهل عن الفن والعلم وانظمة الحكم وسنن الحياة .

ولا شك ان دول اوربا اذا كانت قد امتصت دماء ابناء الشرق واستثمرت ثروانه واتعابه واستدرت ارباحه فلأن تلك الدول ملكت مالا نملك من علم وآلات وادوات وصناعات حلت محل صناعاتنا واعمالنا اليدوية .

ولما تعلمنا لغاتها واقتبسنا ازياءها وعاداتها واخذنا عنها علومها بفضل المدارس التي فتحتها في بلادنا وبفضل السياحات التي كان يقوم بها ابناؤها في أسواقنا ومتاجرنا ، ويقوم بها أبناؤنا في اسواقها ومتاجرها، اشرق العلم بنوره علينا وبصرنا ما كان مخفياً علينا، وعلمنا لماذا تفرق تلك الدول بين المرء وقلبه و كيف تنفث السم في افكارنا وهي وان كانت قد جاءتنا بالادوية والعقاقير والاطباء والمدارس والمستشفيات والاديرة والملاجئ الخيرية ، وكان لها الفضل بهذه الحسنات والمقومات فقد جاءتنا بالمسارح والراقصات والحانات والمواخيرو(البارات) (١) والمقاصف ، وباللهو القاتل وببعض التعاليم المفسدة ، والشركات النهابة السلابة المستعمرة ، فأحسنت من جهة واساءت من جهتين ، وجمعت بين النقيضين لغاية مرجوة ، ولكن في كل حال كانت السبب في اليقظة والانتباه .

على ان الغربيين وان ادعوا الانسانية وادعوا المدنية وانهم رسل السلم ودعاة العلم ، وانهم اصحاب النيات الحسنة ، فان لهم غايات نفعية وخطط سياسية واساليب

---

١ (البار) هو محل للرقص وتناول المشروبات الروحية استحدثته المدنية الحديثة لاتمام معدات اللهو والتسلية ، والاختلاط .

استعمارية بها احتلوا المستعمرات واستباحوا الثروات وشيدوا المتاجر وجمعوا من بلادنا الاموال والآثار ، فلا تغرنا دعوام ولا تفوتنا مقاصدهم ، وعلينا العمل كما عملوا ، وعلينا العلم كما علموا ، ولن يفيدنا القول والخنوع والاستسلام للجهل والجمود ، فسنة الحياة ان البقاء للاصلح ، ولا صلاح مع التعصب والبعد عن الطبيعة وجهل المادة والرضي بالواقع والقناعة بالذل .

اما وان الامم الغربية وهذا حالها ، وامم الشرق وهذا حالها ، ليس لنا الا العلم والعمل واليقظة والسير كما سار غيرنا في طريق النهضة والاصلاح ، ألم يقل المولى في كتابه العزيز : (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) فمن هم الصالحون ؟ .

وبعد فقد علمنا ماهية الجهاد السياسي ونتائجه فيجب ان نعلم انواعه وشروطه التي يجب ان تتوفر لنجاحه وانجازه ، فما هي ؟ .

ينقسم الجهاد السياسي الى نوعين : الاول جهاد سياسي خاص يتعلق بالفرد ومنفعته ، والثاني جهاد سياسي عام يتعلق بالامة ومنفعتها العامة .

ولشمول الاول الفرد ومنفعته سمي (بالجهاد الفردي) ، ولشمول الثاني الامة ومنافعها سمي (بالجهاد الوطني) لان كلمة (وطن) تشمل المصلحة العامة او الصالح العام لامة اوجدت لنفسها بقعة محدودة من الارض تعيش فيها مستقلة تحميها بذاتها وتدفع عنها من يعتدي عليها بسلاحها وابنائها . والوطنية هي خدمة الوطن بدافع الواجب خدمة تتفق ومصلحة الامة وتعلي من شأنها وتزيد في تقدمها وتعزز مكانتها وكرامتها سياسية كانت ام غير سياسية .

الجهاد السياسي ، يتحقق وينجز بالشروط الآتية :

(الاول) : وجود الامة ووجود الفكرة ، لان غاية الجهاد هي مصلحة الامة ، وغاية وجود الفكرة هو تحريك الامة وسوقها نحو هذه المصلحة ، ولا تؤثر الفكرة في الحركة وبعبارة اصح لاثرها مالم يدين بها عدد وافر من الشعب يمتاز بايمانه وادراكه وشعوره وجرأته واخلاصه ونسبة عدده .

ثم تقوى الفكرة وتزداد نضوجا واتساعاً ونمواً حتى تغدو مثلا اعلى يعتنقها الزعماء وتعتنقها الاحزاب ويهتدى العاملون بهديها ويعملون بوحيها ، فاذا تم ذلك ابتدأ الجهاد

وخرج قادته الى الساحات .

(الثاني) : ملاءمة الزمن ، والمقصود من هذا الشرط المدة الكافية لتوطيد دعائم الفكرة ، والفرصة السانحة لتدعيم العمل بها حتى تطمئن القلوب ويستمر المؤمنون بتماسكهم وايمانهم واثقين من النجاح .

(الثالث) : انشاء التنظيمات الموافقة لاستعداد الاكثرية وذهنيتهم ، وذلك باعطاء كل فرد او هيئة ما يستطيع عمله لممارسة المسؤولية وتقوية الرابطة والتعاضد تحاشيا من الفوضى ومصادمة الرأي العام .

(الرابع) : تعيين الخطط الفعلية وتقدير مداها ومراحلها وتنفيذها تنفيذاً موافقاً لسنة التدرج وقانون المد والجزر حتى لا تطغي عليها الصعوبات ولا تقتلها الشدائد فيضعف الايمان ويتأخر زمن النجاح .

(الخامس) : القيام بالدعاية اللازمة المستمرة المنظمة ، وهذا يكون بالتظاهرات الشعبية ، والاحتكاك الشخصي ، والخطب العامة في كل مناسبة ، واستخدام الجرائد ، واقامة النوادي ، (١) ونشر المقالات — والبيانات ، وتوزيع النشرات ، وارسال الوفود ، وعقد المؤتمرات ، وتهيئة الحفلات ، والمرافعات امام المحاكم ونشر الاعلانات والرسوم وهي وسائل مؤثرة ومن اهم اعمال الجهاد التي لا يستغنى عنها ولكنها تحتاج الى ادارة منظمة وادمغة مفكرة واشخاص اصحاب شهرة واسعة ومقدرة فائقة ، وكلما كانت الدعاية قوية الترتيب ، محكمة الزمن ، غنية بالمال والرجال والاخبار ، وكانت مهيجة تثير العواطف والشعور أفادت وسهلت الوصول الى الغاية .

(السادس) : المال ، وهذا اكسير كل جهاد وحياة كل عمل وقوة كل تدبير ، فتنظيم جمعه ومعرفة صرفه وتسليمه لمن يؤتمن عليه ويعرف انفاقه ويحفظ حسابه ليس بالامر الهين كما يظن بل هو صعب بقدر ما هو ضروري .

وقد يكون نقص المال او سوء استعماله او التبذير في صرفه من اسباب الفشل ولذا

---

١ (الاندية) : هي امكنة خاصة يجتمع فيها اصحابها لغاية معينة

يجب ادخاره والاكثار منه وصرفه وقت الحاجة ، والمال في كل زمان علة الشقاق وسبب الاختلاف فان تولته هيئة (٢) مسؤولة قل القيل والقال وبطل الاتهام وزال المحذور ، وان استلمه فرد ولو كان مسؤولا لحقه القيل والقال وكثرت حوله التهم وزاد المحذور ، ولكن لكل قاعدة شواذ (وكثرة الحذر لا تنفع من القدر) .

(السابع) : التبادل الفكري والتعاضد العملي ، وهذا ينبهنا الى نبذ الاستئثار لانه لايجوز لهيئة مجاهدة ان تستبد برأي تتخذه دون روية ولا تحقيق ، ولا يجوز عدم الاعتماد على النفس عند تقسيم العمل وتحمل المسؤولية فمن مصلحة العاملين التشاور واحكام الرأي والتدبير من جميع وجوهه في كل امر ذي بال ومن ثم يقرر العمل بدون تردد ولا وجل ، ولابد من تقريب وجهات النظر بين الاحزاب التي تتحد بالمبدأ والغاية وتختلف بالاسلوب والزمن ، ولاضرورة لمزجها اذا كان في الامكان الاستغناء عنها والا فيتفق معها اذا خيف التنابذ والشقاق .

(الثامن) : اكتساب عطف الرأي العام ، ان الرأي العام كالطفل النامي يحتاج دائماً الى تغذية لتدوم حركته ويستمر نشاطه ، وتغذيته هي تأمينه من المخاوف والمثاور وتشجيعه على تحقيق الامل واصابة الهدف ، والعطف عليه بكل مايعلي مكانته ويزيد اعتباره واطلاعه بقدر الامكان على مجرى الحوادث ليزيد انتباهه ويقوى وعيه للامور ، والتحدث اليه من حين الى حين لبقاء الصلة ودوام العطف عن طريق الاجتماعات والزيارات والجرائد والبيانات ، ومراعاة شعوره فيما يمس الدين والآداب والاخلاق ، ومراعاة تقاليده في الاعراس والجنازات والحفلات والولائم والاعياد خوفا من تيار الجماعة التي هي بحكم الطبيعة تنساق بدون وعي ، فاذا اهملت الشعب وتعاميت عن رأيه وجهلت اتجاهه ولم تحكم تدبيره وتوجيهه ، اثرت فيه الشك والريبة ، وفتحت للضغينة بابا واوجدت جواً مفعماً بالخوف والوهم والقلق . واستثمر ذلك المغرضون فيحدثون حركة رجعية يجرفك تيارها من حيث تدري ومن حيث لا تدري وينقلب شرها عليك وعلى من يخالفها ، ولذا كن على حذر ويقظة ولا تلق بزمام القيادة الى غيرك واعمل على اكتساب الثقة وتقوية الايمان بدوام الدعاية والاتصال والتغذية المفيدة على الوجه المشروح والظهور بمظهر الاب الشفوق ، وكن في تصرفاتك قريباً من مثلك الاعلى ، واتخذ المهابة والوقار والعفة والتودد

---

(٢) (الهيئة) كلمة مولدة تفيد عدداً محدوداً من جماعة او حزب يتولون ادارة العمل او القيام بمهمة خاصة ينتدبون لها من قبل جماعتهم او احزابهم .

مع الحرمة جاباً ودرعاً يقيانك كل مطعن حتى اذا انقاد لك الرأي العام وآمن بعصمتك وحكمتك وصواب رأيك وصدق قولك وصحة عملك اساس لك قياده واطاعك اطاعة عمياء ، وتصرفت فيه كما تريد ، ومن الشروط المتممة لدعاية الاحسان لمن أحسن والتصدق على من احتاج وايجاد العمل لمن عجز عن عمله وتعطل من شغله والتقدير لمن قام بواجبه، فلا تهمل ذلك تضع عنك مؤونة ما سواه .

(التاسع) : ايجاد المنافع الاقتصادية و لاجتماعية والادبية ، لان طبيعة الافراد والجماعات تطلب الانتفاع من وراء كل عمل فيجب تأمين ذلك ، وسواد الناس يطلبون المادة وخواصهم وهم القليلون يطلبون الجوهر .

(العاشر) :مقاومة الخارجين عن المبدأ وهؤلاء قد يكثرون وقد يقلون فولهم العناية واهتم بحركاتهم وراقبهم عن كثب مهما كانوا ، اما محاربتهم فتكون عن طريق توجيه التيار الوطني نحوهم مستفيداً من اخطائهم(١)، ومتى احكمت الضربة اضطروا الى الانسحاب من الطريق او يثوبوا الى رشدهم فيؤدوا واجبهم مطيعين لما يفرض عليهم .

(الحادي عشر) : اجتناب الغوغاء والفتن والثورات ، ما دامت الطرق السليمة والطرق المشروعة تؤدي الى الغاية ولو بعد حين ، لان استعجال الزمن مجابة للفشل ، والمهاجم وان يكن قويا تكثر ضحاياه والمدافع وان يكن ضعيفاً تقل نفقاته وخساراته ، فلا يجوز تعمد الهجوم الا عند الاحراج الذي لا مفر منه ، والثورة هي آخر علاج واخطر تدبير في الهجوم او المقاومة لان بدأها قد يكون في يدك اما نهايتها ففي يد القدر والغوغاء مظهر للحطة والشعوذة لا يعتمد عليها ولا يتسلح بها فاجتنبها والا فاجعلها مقدمة العراك وسلطها على من ماثلها .

(الثاني عشر) : الكتمان في العمل واجتناب حب الظهور ، ان التكتم من شأنه القاء الرعب والرهبة واخفاء القوة وتسهيل العمل ، فالاستعانة بالكتمان اضمن للحاجة وعدم الظهور يبعد الشبهات ويزيل الانانية التي هي شر الزعامة وآفة الاخلاق .

(الثالث عشر) : تنظيم صفوف العاملين وجعلها درجات أقلها ثلاثة : صنف يُعلّم

---

١ جمع الخطأ على اخطاء ليس بخطأ وان كان اسم مصدر

وَيعمل ولا يعلم ، وهو (العامة) ، واذا اقتضى له العلم فليكن بمقدار ما ينير له الطريق ويرشد قلبه للفهم ، وصنف يُعلم ويعمل ويَعلم بالمقدار الذي يكشف له عن الاهداف ومقاصدها ، وصنف لا يُعلّم ويعمل ويَعلَمَ بكل ما يرتب وما يقصد وهو مصدر القيادة وحامل الفكرة وواضع الخطط والتدابير ، ولكل من هذه الصفوف مديرون وزعماء ، وبينهم رجال وجماعات مقسمة أعمالهم .

(الرابع عشر) : التعويض على من خسر شيئاً من ماله او اصيب في جسمه واحتاج الى المعونة مادة ومعنى ، حتى لا ييأس الناس من العناية بهم ولا يحرموا من ثمرة اتعابهم وجهودهم ولا تضعف قوتهم ، ويقل استمرارهم في الجهاد .

(الخامس عشر) : اقامة المراكز والفروع والشعب في كل بلدة وقطر ، للدعاية والتعبئة والاستطلاع ومعرفة الوقائع والحوادث وتنظيم الدعاة والسعاة لكل منها .

(السادس عشر) : تأسيس دائرة لحفظ الوثائق وتدوين الوقائع والتواريخ ، حتى يرجع اليها في الدعاية والنشر والمراسلة ، ولا شيء اضمن للثبات من معرفة ما كان وما يمكن ان يكون .

(السابع عشر) : اتخاذ عدة جرائد ومجلات للنشر والدعاية والتبشير والدفاع ، ان الرأي العام يتمثل بالجمعيات والاوساط الاجتماعية والاندية والجرائد والمجلات والشركات التعاونية ، فللزعماء وقادة الرأي ان يهتموا بها وان يكون لهم يد في كل منها وان يتخذوها وسيلة للدفاع عن مبادئهم وعونا لدعاياتهم ومداراً لتنظيم صفوفهم وتهيئة رجالاتهم ، فلا سلاح يضارع سلاح الرأي العام ولا قوة تحمي الظهر كالرأي العام ، وهذا مصداق لما قيل : (ألسنة الخلق أقلام الحق) .

(الثامن عشر) : احياء الذكريات وتمجيد الابطال واقامة الحفلات ، وتعظيم رجالات التاريخ والمآثر واصحاب الفكرة الوطنية والاعمال الخالدة والشهداء الذين ماتوا ضحية الواجب وفي سبيل وطنهم وأمتهم ، لانه مما يؤيد الحركة ويزيدها قوة ، ويجب العمل بها لتعزيز العمل ودوام الجهاد وجعله في أعين الناس محبباً ومحترماً ومقدساً ، والاعمال العامة كلما كتب لها الاحترام والتقديس ، وجمعت بين الفائدة والروعة والمهابة والنظام ،

اثرت في النفوس وحببت اليها الطاعة والاندفاع وغذت العاطفة .

بهذه الشروط وتطبيقها بانتظام وثبات وحزم وتضحية وتفنن ، يقوم الجهاد الوطني ويقوى على مر الايام ، على ان المهم ان يكون هنالك جيش من المؤمنين والانصار مدرب منظم ، له قواده ورتبه ، يهذب ويمرن ويجرب ويتخذ الاشكال والاسماء التي يريدها ، ولا يظهر الا وقت المظاهر اللازمة ولا تعرف خططه ومراميه الا لرؤسائه حتى يكون عدة لكل دفاع او هجوم ، ويجب ان يرأسه رجال عرفوا بالمقدرة والحنكة والعلم والارادة وحب التنظيم ولهم الحرمة والطاعة من اخوانهم ، والفهم لنفسية الناس واحوال المدربين والعلم بما يوجب النظام ، والقيادة ، والتقدم .



الفصل الثالث

جهود سورية في الماضي والحاضر

الباب الاول : جهود سورية[1] في الماضي

قبل ان نكشف عن بطون التاريخ لنتحرى جهود سورية والسوريين نتساءل : هل سورية وحدة تاريخية ام هي وحدة جغرافية ام وحدة سياسية ؟ وهل الذين سكنوها منذ أقدم التاريخ كانوا عنصراً واحداً سورياً ، وهل لهذا العنصر وجود محدود وماهية معروفة ومدنية حفظتها الآثار ؟ ام كانوا من عناصر مختلفة ؟ وما هي تلك العناصر ؟ ولماذا سمي السكان في وقتنا الحاضر سوريين ، وما هي حدود بقعتهم التي اطلق عليها سياسياً اسم (سورية) ؟ وممن تتألف اكثرية أهلها ، ومن هم الاقلية الباقية فيها ؟ .

تلك أسئلة لابد من الجواب عليها قبل الدخول في البحث المنشود ، ولكن كيف نجيب عنها وسورية كما نحددها اليوم باعتبار وضعها السياسي لا وضعها الجغرافي لم تكن موجودة ولا مفهومة في عصر من العصور ، أجل ! انها وجدت منذ عهد الانتداب ، اي منذ سنة ١٩١٨ ميلادية وسميت بهذا الاسم تمييزاً لها عن فلسطين وشرقي الاردن ، وكانت

---

(١) ان كلمة (سورية) تنسب الى السكان الاقدمين الذين سموا (آشوريون) ثم حزفت الهمزة وابدلت الشين من اشورية فقيل سورية والسوريون قوم يرجعون الى العرق السامي الذي تتفرع عنه عدة شعوب : العربية والاشورية والآرامية واليهودية والفينيقية والكلدانية والكنعانية والاثوبية ومن تفرع منهم .

أيام العصور العربية اي ايام بني أمية وبني العباس تسمى (بلاد الشام) (٢) وتشمل مقاطعة سورية وفلسطين وشرقي الاردن وما لها من مدن وأقضية ونواحي وقرى وبوادي ، واما الان فان سورية تشمل محافظة دير الزور ، ومحافظة الجزيرة ، ومحافظة حلب ، ومحافظة دمشق ، ومحافظة حماه ، ومحافظة حمص ، ومحافظة حوران ، ومحافظة جبل الدروز ، ومحافظة بلاد العلويين — اي تسع محافظات لكل منها مدن شهيرة وأقضية محدودة ونواحي وقرى معلومة واما فلسطين فانفصلت عنها وهي مستقلة تحت انتداب بريطانيا وكذا شرقي الاردن انفصلت وغدت امارة يحكمها الامير عبد الله الهاشمي ابن المرحوم الملك حسين سلطان الحجاز ، وقبل زوال الحكم العثماني كان لبنان تابعاً لسورية فانفصل عنها ايام الانتداب وضمت اليه بيروت وطرابلس وصيدا والبقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا ، وغدا دولة مستقلة تحت انتداب فرنسة وسمي (لبنان الكبير) تمييزاً له عن لبنان الصغير الذي كان يحوي شمالي لبنان ومرفأ جونيه .

وتمتد حدود سورية في وقتنا الحاضر من الفرات شمـالا وبادية الشام شرقاً والبحر المتوسط غرباً الى رياق وحدود طرابلس الشام ، وفلسطين وشرقي الاردن جنوباً .

وفي ايام الرومان سمي الجزء الشمالي من بلاد الشام (سورية) ظناً منهم ان سكانه من بقايا السريان أي الآراميين ، وسمي الجزء الجنوبي : لبنان وفلسطين والبتراء ـ اي شرقي الاردن ـ وفي ايام الاتراك سميت منطقة دمشق وفيها بيروت وطرابلس وصيدا وصور وبقية ما للبنان من اراض خلا لبنان الصغير (بسورية) ، وكانت ولاية كبيرة ثم انفصلت عنها بيروت وطرابلس وصيدا وصور وما الحق بلبنان الكبير من الاراضي العثمانية ، وسميت

---

(٢) (بلاد الشام) حدها طولا من الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية وعرضاً من جبلي طيء من نحو القبلة الى بحر الروم وبها من امهات المدن حلب ، ومنبج ، وحماه ، وحمص ، ودمشق ، وبيت المقدس ، والمعرة ، وفي الساحل انطاكية ، واللاذقية وطرابلس ، وعكا وصور ، وعسقلان ، وغير ذلك ، ولها خمسة اجناد جند قنسرين ، وجند دمشق ، وجند الاردن وجند فلسطين وجند حمص ومن ثغورها المصيصة ، وطرطوس ، واذنه ، وانطاكية وفيها من العواصم ، مرعش والحدث ، وبغراس والبلقاء وغير ذلك ، (عن معجم البلدان) .

بولاية بيروت .

وبهذا الاعتبار ليس لسورية وجود جغرافي بل لها وجود سياسي حدد وعرف منذ الانتداب وانتهاء الحرب العامة التي بدأت سنة ١٩١٤ م وانتهت في سنة ١٩١٨ م .

اما سكانها فليسوا من عنصر واحد بل هم من اقوام مختلفة وعناصر ترجع أرومتها الى العرق السامي وفيها من ترجع ارومته الى العرق الآري .

فالذين ترجع أرومتهم الى العرق السامي هم العرب ويمتزج بهم من ينتسب الى الآراميين والآشوريين والكلدان والكنعانيين والفينيقيين ، والذين ترجع ارومتهم الى العرق الآري هم الارمن والجركس وبقايا الروم والرومان والفرنجة ، وهؤلاء منهم من يحتفظ بلسانه كالارمن والجركس ومنهم من نسي لسانه وغدا يتكلم العربية بالتناكح والتناسل وينتسب الى العروبة ، وعلاوة على هاتين الارومتين توجد ارومة اخرى تنتسب الى العرق المغولي والتتاري وهم بقايا الاتراك والسلاجقة والتركمان ، وأفرادها منهم من يتكلم الكردية ومنهم من يتكلم التركية ولكن غلب عليهم التزاوج والاختلاط فتعربوا وتعلموا العربية ، ومنهم من تعرب تماما ونسي جنسيته ولغته بحكم القدم والاسلام ، والعرق العربي يتفوق على جميع العروق والارومات بكثرة عدده وكثرة مواليده وهجراته المتوالية ، لان جزيرة العرب كانت ولا تزال موطنه الخالد ومقره الدائم ومعينه الذي لاينضب تمده وتمد سورية وما جاورها بالقبائل التي تهاجر من قلب الجزيرة واطرافها وترحف نحو هذه المنطقة الغنية كلما مست الحاجة او قلت المراعي او ضاقت المعيشة وتحتل الاراضي فتقيم فيها وتبني قراها وتفلح أراضيها وتتزاوج وتتوالد وتجيش الجيوش وتشترك بالعمران بعد ان تتحضر وتتعلم .

وقد عرفنا منذ اقدم التاريخ ان سورية كانت منازل وربوعاً لقبائل ربيعة ومضر وتنوخ وبني تغلب والمنذر وطي وقيس وشمر وبني كلب وبني صالح وغسان توطنت بلاد الشام وأقامت لها دولا وامارات وامتزج بها وبدمها من كان فيها وقريباً من عرقها من الامم والاقوام .

ولما استتب الفتح الاسلامي تمثل في تلك القبائل العديدة من كانوا من العناصر الاخرى كبقايا الآراميين والكلدان والروم والرومان ، واضاعوا في امتزاجهم بالقبائل

المذكورة ميزاتهم القومية واللسانية .

وكان من تأثير الفتح المذكور ان تولد جيل عربي اسلامي له مدنيته وحضارته وسلطانه فتعرب الجميع بالاختلاط والتناكح وقبول اللغة والدين واشترك الكل بالادارة وتأسيس العمران الذي امتد حتى بلاد العجم ، ثم تغلبت الموالي والمماليك على الحكم واستلموا الادارة والجيش ولكنهم قبلوا الاسلام وتمثلوا في العروبة والحضارة العربية ، فلم يكن لهم طابع خاص ولا استطاعوا ان يوجدوا لهم ثقافة او حضارة .

وعليه ، فان البلاد التي نسميها (سورية) اليوم هي وحدة سياسية لها حدودها الجغرافية وان اكثرية سكانها عرب بحكم الجنس وحكم التاريخ وحكم الفتح والتمثيل (١).

وحيث أجبنا على ما أسلفنا من الاسئلة ، نبحث الآن عن الجهود السياسية لهذه البقعة ونقول :

لما كانت سورية موطن البطون السامية واهمها العربية وفيها نشأت مدنياتها (٢) ودياناتها فان سكانها الاقدمين بذلوا الجهود لاستقلال ما ملكوه وقاوموا المستعمرين والفاتحين كالمصريين والرومان والحثيين والفرس واليونان والترك والمغول والصليبيين (٣) لحفظ استقلالهم ودفع العدوان عنهم ، وكان العرب اشدهم جهداً وأبرزهم في التاريخ عملا ، وكانوا يحاربون ويدافعون باسم الدين تارة وباسم القومية تارة أخرى .

وكما استعمر الاجانب بلاد سورية وتحكموا في شعوبها فان السوريين استعمروا بلاداً

---

(١) التمثيل كلمة حديثة يراد بها الخلاصة التي تنشأ عن هضم الطعام وتمتص فتتمثل في أنسجة الجسم واعضائها لانها تحولت وتغيرت عما كانت عليه بفعل الغدد والاعضاء المختصة والمواد الكيمائية التي تفرزها .

(٢) ان الذين اسسوا الملك في سورية هم : الكنعانيون والفينيقيون والتدمريون والآراميون والغساسنة والمناذرة والامويون والعباسيون والحمدانيون وبنوا صالح وكلهم من الارومة العربية .

(٣) كانت سورية مطمعاً لهؤلاء الفاتحين وجسراً للغزاة والمستعمرين لخصب أراضيها ووقوعها ممراً بين الاقطار الاخرى .

خرى وأمماً أخرى وحملوا عمرانهم وثقافتهم وصناعتهم اليها، هاك ملوك فينيقيا والكنعانيين فانهم تملكوا افريقيا وسواحلها ، واسسوا (قرطاجنة) ومصر ، ومنهم من ذهب الى روما والصومال والى جزائر الفيلبين وسواحل انكلترة وسواحل افريقية الغربية ، وفي قول آخر انهم ذهبوا الى جزائر امريكا الشرقية واسسوا هنالك حضارتهم ومستعمراتهم وفي تلك المحلات خرائب وكتابات تشهد على آثارهم وتدل عليهم .

وقد ثبت ان العمالقة كانوا استولوا على مصر باسم (الهيكسوسيين) اي الرعاة وحكموا فيها عدة قرون ، ولما دخل (موسى) ارض مصر كان لايزال منهم ملك يتولى الملك في تلك الديار العظيمة واستولوا على سواحل امريكا وبنوا فيها مدناً ومنها مدينة (اللاما) وكذا استولى الحميريون وهم من عرب اليمن على الحبشة والصومال ومداغسكار ، ولهم فيها آثار ومدن خربة .

ولا ننسى ان دولة تدمر ايام (زنوبيا) او (الزباء) اشتهرت بعمرانها وحضارتها وبجيشها الجرار وبحروبها ضد الغزاة الرومانيين ، واشتهر ملوك الغساسنة بدولهم وعمرانهم وقصورهم في البتراء (شرقي الاردن) وفي حوران (بصرى الشام) وفي الشام نفسها ، واشتهر ملوك المناذرة في بلاد الحيرة وما وراء النهرين (دجله والفرات) حتى حدود ايران بحضارتهم ومدنيتهم ولهم آثار ناطقة بعظمتهم وتقدمهم .

وعندما اسس العرب ملكهم في سورية ايام الخلفاء وتغلبت المدنية العربية ايام الامويين ومن جاء بعدهم على كل ما سبقها عاد للسوريين نشاطهم وازدهرت بلادهم وبرزت كفاءتهم بما شيدوه من ملك وعمران ومدنية امتدت الى اقصى المعمورة كالهند وفارس والاندلس وقسطنطينية وايطاليا وحملوا اليها علومهم وصناعاتهم وآدابهم ، ولو لم تك تلك الاقوام الساكنة سوريا قبل الاسلام معظمها من العرق العربي لما وجد المسلمون العرب السهولة في فتح بلاد الشام وبلاد العراق وبلاد مصر وافريقيا وتشييد عمرانهم وتأسيس ملكهم فيها ، ولذا عندما أخضعوهم للحكم العربي الذي لازم روحهم قبلوا التمازج والاندماج بكل رضاء وارتياح وساروا في مقدمة جيشه الفاتح حيثما حل وارتحل وخدموه علماً وادارة وصناعة وعمراناً .

ومما سجله التاريخ للحكم العربي في سورية وللسوريين منذ الفتح الاسلامي حتى حكم العثمانيين ان الدول العربية التي تعاقبت على هذه البلاد من امويين وعباسيين وحمدانيين وايوبيين وغيرها حافظت على الفكرة التي حملها اليهم صاحب الرسالة المؤسس الاول للمدنية العربية ، وهي نشر العلم والثقافة واقامة العدل وانشاء المؤسسات الدينية من معابد وجوامع وتكايا وزوايا ؛ وانشاء المعاهد الخيرية من مستشفيات وملاجئ للضعفاء وعابري السبيل ؛ وانشاء الوسائل العمرانية من طرق وجسور وقلاع ومعابر ، من خصائص حكمهم وجليل اعمالهم ، وبذلك دلوا على طبيعة العرب انها طبيعة غالبة وعلى خاصيتهم الفكرية انها انشائية واجتماعية . وعمرانية ، ولولا انقضاض جيوش جنكيز وتيمورلنك وجيوش الصليبيين ، ومن بعدهم جيوش السلطان سليم العثماني ومن خلفه على بلاد سورية وبقية البلاد العربية لما اندرست فيها آثار العرب وزالت معالم حضارتهم ، وكان من نحس الطالع والقدر الغالب ان تنقسم البلاد العربية على نفسها بتنازع الملوك والامراء ، وان تضعف حيوية الشعب ومقاومته وتتغلب الاعاجم على اموره ، ويتولى الموالي والمماليك والغرباء مناصب الدولة فيتناقص الملك ويتناقص شأن العروبة وشأن القومية ويتلهى القادة وزعماء القوم عن تحصين الثغور وجمع الشمل وازالة الخلافات ، ويغفلون عما يحيق بهم ويتملكهم من عوامل التفرقة والهدم بسبب تلك الخلافات والاختلافات والثورات وشق عصا الطاعة والعصيان ثم لم يلبث الطامعون من الغرباء والفرنجة وسواهم ان يحشدوا جيوشهم ويحاربوا العرب في قعر دارهم ويغلبوهم وهم في دست ملكهم ، ولا شك ان المغول والتتار والصليبيين والعثمانيين وان لم يدم فتحهم وتغلبهم طويلا ولكن ضرر تحكمهم وتسلطهم وهدمهم كان اثره عظيما ، ثم زاد الترك على من تقدمهم بالاستبداد والجهل وابادة معالم الحضارة فكان حكمهم حكم استبداد وجبروت وارهاق الى ان نمت روح المقاومة له وزاد الشعور بالنفرة والكراهة منهم واستيقظت النفوس مطالبة بحقوقها واسترجاع ما ضاع من سلطانها وحضارتها فما حانت الفرصة وأذن الوقت بالانقضاض عليهم والقيام بالثورة للخلاص منهم واعلن الملك حسين بن علي قيامه على جيوش الترك حتى جاوبته ابناء البلاد بالتلبية والمساعدة وتنادى المحاربون والقواد وانضموا الى صفوفه ودام الكفاح

مدة الحرب العامة كما سنفصله الى ان تم النصر وانسحبت جيوش الترك والالمان حلفاؤهم سنة ١٩١٨ ميلادية من سورية والبلاد العربية الاخرى وانتهى حكم العثمانيين ، وابتدأ جدال آخر لتحرير البلاد دل على ان القوة لاتموت وان العرب قوة تثور وتخمد ولكنها لا تزول ولا تهمد .

فما تقدم وصفه يمكننا اختصار القول ان جهود سوريا حتى اليوم تنقسم الى ثمانية أدوار :

(١) جهود سوريا أيام الفينيقيين
(٢) جهود سوريا ايام الحكم التدمري
(٣) جهود سوريا ايام الغساسنة والمناذرة
(٤) جهود سوريا ايام الفتح العربي
(٥) جهود سوريا أيام بني أمية والعباسيين
(٦) جهود سوريا ايام بني حمدان
(٧) جهود سوريا ايام الايوبيين والمماليك
(٨) جهود سوريا ايام الصليبيين وبني عثمان

ونحن اذ نذكر هذه الجهود السياسية نقول لابنائنا وبني قومنا : يجب عليكم كيف ما كنتم وكانت الصعاب أمامكم ان تعملوا للعصبية القومية العربية الثائرة ، وتتقدموا للتضحية الخالصة برضى وايمان حتى لا تستخفكم الاقوام وتحتقركم الامم ويطمع فيكم الطامعون ، وعليكم ان تعلموا ان كل ما أصاب بلادكم من هجمات وما وقع عليها من اعتداءآت وما نالكم من اذلال واستعمار سهل زواله اذا لم تنسوا ما في الاحداث من صور قيمة تدلكم على تقلبات الدهر وأخلاق الدول وأساليب الفتح والاغراء وتحفظ لكم في وقعاتها تجارب مفيدة تقوى دفاعكم وتزيد نشاطكم وتعلمكم انتهاز الفرص واختيار طرق السياسة وادراك معنى الحياة .

واذا علمتم ذلك وتمسكتم بأخلاق آبائكم الابطال الصناديد الذين شهدوا المعارك وخاضوا الحروب ودوخوا الممالك وقهروا الجيوش ، وصبرتم على المتاعب وأحببتم العلم والعمل ولبستم لكل حالة لبوسها وصبرتم صبر الشجاع على الالم والحرمان واذكيتم في

نفوسكم حرارة الايمان والحماس وادخرتم المال واقتصدتم في الوقت ولم تأمنوا عدواً ولم ترهبوا مستعمراً ولم تسالموا دخيلا ، واعتمدتم على أبنائكم واخوانكم وسواعدكم ومساعيكم ولم تغتروا باقوال الساسة والمتعصبين والمتطفلين والانانيين والمنافقين -وكلهم دعاة تفرقة واداة نقمة وآلة فتنة ، واقتنعتم عن عقيدة وتجربة بان البلايا تشحذ الهمم والمصائب تقوى العزائم ، فلا شك ان جهودكم ستثمر أطيب الثمر وانكم واصلون الى ما تبتغون من حرية وسيادة واستقلال ومجد .

وهنا انتهي من الجهود في الماضي البعيد وأبحث ما قام به السوريون في القرن الاخير من عهد العثمانيين الى أن دخل الانكليز بلاد العرب ، ثم أذكر مجيء فيصل وحكمه ثم زمن الانتداب وما نتج عنه ، وأمر بهذه الازمنة والادوار سريعاً دون تفصيل ولا تبويب وغايتي بحث الجهود وتدوينها لابحث التواريخ والحوادث وتفصيلها .



الباب الثاني

(جهود سورية ايام العثمانيين والانكليز والحكومة العربية)

وهو ما يسمى بالماضي القريب

مزجت هذه الادوار الثلاثة في مقال واحد لان زمن الانكليز والحكومة الفيصلية كان قصيراً لايستحق ان افرد له بحثاً خاصاً ، ولأن المشتغلين في القضايا السياسية من رجالات العرب اشتغلوا بالقضية العربية دون غيرها ولم يكن لهم فكرة غير فكرة واحدة (تحرير سورية والبلاد العربية لا بقعة دون أخرى) ولهذا اضطررت الى بيان تلك الادوار في مقال يشتمل عليها وعلى أيام العثمانيين حتى سنة ١٩٢٦ من تاريخنا الحاضر وهي السنة التي سجنا فيها ولا نزال فأقول :

يتضح لمن درس تاريخ الدولة العثمانية وسياستها في الممالك العربية ودرس حالة الشعوب التي خضعت لسلطانها ، ان حكومة بني عثمان التي دامت اربعة قرون لم تكن حكومة علم وثقافة وحضارة وعمران ، بل كانت حكومة حرب وفتح واستيلاء واخضاع وكان نظام الدولة من أوله الى نهايته قائماً على اساس السلطان المطلق ، والادارة المركزية والاقطاعية المحلية (والعائلية) ، وعلى جمع المال لبقاء الحكم ، واعداد الجيش وتكثيره لفرض السيادة واخضاع الثائرين ، والمحافظة على بقاء القديم على قدمه ، وبعبارة أصح : (يحكم الرعية لمصلحة الراعي) ،

على ان الادارة التي هي الدليل على حسن السياسة ورجاحة العقل كانت مثالا (للاخضاع بالقوة ولأخذ المال بالقوة وتسيير الامور بالقوة) ، ولم يكن موظفو الحكومة ولا بطانة الملوك وحاشية القصور ممن يهمهم جمع المال لعمران البلاد وازدهارها واراحة الشعب وترقيته ، بل كان جل همهم جمع المال لاشباع نهمهم ونهم سلاطينهم وكان ديدنهم

بناء القصور واتخاذ الجواري والعبيد وارواء شهواتهم وكم الافواه حتى لا تنالهم بالقيل والقالة ، واما الجندية فكانت للسيطرة وفرض الارادة وقتل الحرية وازالة من يقاوءهم من الوجود بلا رحمة ولا شفقة ، وكان اكثر الجنود من الدخلاء والغرباء وابناء الاسرى يدربون ويربون ويؤمرون فيطيعون ، ولو شئنا تعداد ما نتج عن هذه السياسة وما مرّ على الدولة العثمانية من أدوار وحروب وما أصاب الرعية من عسف وظلم واردنا وصف وجوه الخير التي لم تخل منها الدولة ولا وجوه الاصلاح التي قام بها أمثال سليمان القانوني ومحمود وعبد المجيد الاول وعبد الحميد الثاني ووصف وجوه التقهقر والانحطاط التي بدأت بعد سليمان القانوني وانتهت بزوال الملك أيام عبد المجيد الثاني لاحتاج الامر الى مجلدات ، ولذا اجتزأنا بذكر هذه الخلاصة مضيفين اليها ان ملوك بني عثمان لم يكونوا كلهم كما ذكر من سوء السيرة او سوء السياسة ، بل ظهر بينهم من أسس الملك امثال عثمان الاول والفاتح محمد والسلطان سليم الملقب بياوز ، ومن فتح الفتوحات واحسن الادارة امثال سليمان القانوني ومراد الرابع وكانوا من خيرة الملوك همة وعظمة ، وتبعهم محمود وعبد المجيد وعبد الحميد ممن أرادوا تنظيم الدولة وادخالها في عداد الدولة الراقية لولا سوء بطانتهم ، وجهل الامة ، والفساد الذي تفشى داؤه بالسلطنة من جميع نواحيها ، ولولا ان الترك انفسهم لم يستعدوا لقبول التجدد والتحول ، ولولا ان الجيش جمع شتات الأعاجم والاسرى واولاد المقاطعات النائية فأرهق الدولة بالثورات والفتن .

أقول لولا هذه الاسباب لتمكن المصلحون من اتمام رسالتهم ، ولكانت الدولة خيراً مما آلت اليه ولكن الحكومة والملوك والبطانة أهملوا حقوق الرعية وتقاعسوا عن نشر العلم وتثقيف الامة وغفلوا وجهلوا تقلبات الزمن وتقدم أوربا وطمعها في الاستيلاء على الشرق ، وكانت الانكشارية وهي جيش الدولة المدافع عن حدودها تثير العصابات وتخلق الفتن ، وكان الولاة وهم على دين ملوكهم يرهقون الناس بضبط اموالهم وتعذيبهم واخذهم الرشوة ، وكان الوجهاء وذوو النفوذ يلجأون الى الاحتيال والرشوة لسلب الفلاحين أراضيهم ومحاصيلهم ويستخدمون لذلك شتى الطرق والوسائل ومنها الالتزامات واقامة

الدعاوي وزج من يناوئهم في السجون ، وكان من جراء هذه الاحوال التي لا يستقيم معها امر الملك ولا السلطان أن ذهبت أجزاء عديدة من السلطنة وانفك ارتباطها عن الوطن ، كاليونان وبلاد رومانيا وبلغاريا وجبل الاسود وتونس ومراكش والجزائر ومصر وطرابلس الغرب واليمن ، والبقية الباقية من الاناضول وبلاد العرب كانت مطمعاً لدول الاستعمار من انكليز وافرنسيين وايطاليان والمان يبيتون لها الخطط للاستيلاء عليها واقتطاعها ، ويهيئون العدة والدعاية لاثارتها ، والدولة لاهية عن التدبير أو عازفة لكنها عاجزة ، وكان من الطبيعي ان الدولة التي تنتابها هذه العوامل الهدامة وحكومتها في غفلة ، تفقد النمو وتفقد التجدد وتعجز عن النهوض لمسايرة الزمن ، وتتأخر عن الرقي وتحرم العمران ، وكان من الطبيعي ان تصاب البلاد العربية بما اصيبت به أجزاء السلطنة العثمانية وان تفقد المقاومة وتنحط عما كان لها من عمران وحضارة ، وان يجد المستعمرون في أنحائها ما يتفق ومطامعهم وآمالهم لوقوعها في طرق مواصلاتهم ولقربها من البحر المتوسط ولوجود الخيرات الكثيرة في ربوعها ، ومن الطبيعي وقد خلا للغربيين المستعمرين الجو لمد سلطتهم واشتغال الحكومة بعصابتها الداخلية ، ان يكثروا من مداخلاتهم ويقووا نفوذهم بما ينشئونه من مدارس ومعاهد ومستشفيات ، وما يقيمونه من مصارف ومتاجر ومؤسسات خيرية تستميل القلوب ومن جمعيات دينية تبث الدعاية وتبذر بذور التعصب والاختلاف وكان من شر ما أصاب الدولة العثمانية (الامتيازات الاجنبية) التي ابتدأت كمنحة من السلاطين الاولين لبعض رعايا الدول الاجنبية يوم كان العثمانيون في عزهم وقوتهم ثم مع توالي الايام انقلبت غلا في عنق الدولة وتحولت الى حقوق للمداخلة والتحكم واذلال (الباب العالي) والحكومة التي تمثله ، وكان من الطبيعي ايضاً ان يتصف العهد العثماني بالنسبة للحكم العربي بأنه دور توقف ، وتخدير ، وهدم وجمود ، وان يتصف الثاني بانه دور انقلاب عالمي ، ونهضة ، وحضارة ، وعمران ، ان العرب رغم الكوارث والنكبات السياسية التي أصابت دولهم ورغم المماليك والسلاطين والاعاجم الذين توالوا على الحكم بينهم ، ورغم سعة الملك الذي شيدوه وامتد من البحر الاطلانطيكي الى البحر الهندي

ومن بحر القلزم الى جنوبي البحر الهندي ، استطاعوا بلغتهم وقرآنهم ونبيهم وخلفائهم ، وروحيتهم الظامئة للعلم وأخلاقهم المتحلية بالبطولة واستعدادهم الطامح للحرية والمدنية والثقافة ، بمواهبهم وما أنتجته قرائح شعرائهم وأدبائهم وعلمائهم وفلاسفتهم وكتابهم ، وما اوجدته أدمغة حكمائهم ورياضيهم وكيميائيهم ومؤرخيهم وما شيده وأسسه ملوكهم وسلاطينهم من مدارس وخانقاهات (١) ومكاتب وملاجيء وجوامع وتكايا وسبل وطرق وحصون وقلاع وقصور ومدن ان يهبوا الى العالم الشريعة السامية التي آمنوا بها والمبادىء الاخلاقية والاجتماعية التي كانت سبب عظمتهم وازدهارهم ، وان يخلدوا في العالم ما نراه لهم من قصور ناطقة بعظمتهم وحضارتهم في بغداد ودمشق وحلب ، والقاهره ، وقرطبه والحمراء والقيروان وطليطلة وفي غيرها من المدن والممالك . ولا جدال في ان ما الفوه من كتب وعلوم وما قاموا به من دراسات في كتب اليونان والهند والفرس وما ترجموه منها وزادوا عليه وما اكتشفوه من قضايا علمية في الطب والكيمياء والرياضيات والهندسة والفلك والصناعة وغيرها من الامور وما كان لهم من مباحث في التاريخ والسياسة والعمران والاجتماع تشهد لهم بالقوة الفكرية العميقة وبالصبر والثبات والبحث وراء الحق والحقيقة ، كما ان جمال عمرانهم وهندستهم وتزييناتهم المعمارية تدل على ذوقهم وتقديرهم للذوق والتجانس وتحسسهم بالحياة والواقعية وان شريعتهم وفقههم وحريتهم الفكرية وتساهلهم واحترامهم لعقائد الغير وعباداته وعدم اضطهادهم من دانوا لسلطانهم وحمايتهم لاصحاب الذمة والمستأمنين ، وعطفهم على اصحاب المواهب والقرائح من الشعراء والعلماء والكتاب تدل ايضاً على نبالتهم وطبيعة اخلاقهم وسمو افكارهم واتساع ذهنيتهم لتقدير الحقوق وفهم البشرية واعطاء الكفاءات حقها من التشجيع والمكافأة ، وعليه فمن حظ العالم ان العرب كانوا حلقة الاتصال بين القرون الوسطى والقرون الحاضرة وكانوا حملة الثقافة التي ورثوها عن الاقدمين وطريق الانتقال بين القديم والحديث وعنوان الاختراع والابداع فيما اضافوه الى العلوم والهندسة والبنيان ولولم تصدم غارات جنكيز وهجومات تيمورلنك

---

(١) (الخانقاه) كلمة معربة عن الفارسية استعملها المتأخرون بمعنى (رباط الصوفية)

وحروب الصليبيين ثم الاتراك لما وقفت مدنيتهم عند حد ولما تقدمتهم أمة ، ولكن مصيبة العرب كانت بحربتهم وتسامحهم وسرعة توسعهم وتباعدهم السريع عن المركز ، واتباعهم سياسة اللامركزية واستخدام الاعاجم جنوداً لهم في عواصمهم لدرء الاخطار عن ملوكهم فأسرع الانحلال والضعف والفساد الى ما شيدوه واهملوا رتقه وتقويته بحزم وسياسة ، وكان من عوامل فنائهم انهم وقعوا في أيدي الترك وهم في أشد دور الانحلال فلم تقم لهم بعدها قائمة وظلت البلاد العربية تحت حكم هؤلاء الاعاجم اربعة قرون وظلت الامة العربية منهوكة القوى ، مستعبدة ، مجزأة الاوصال يحكمها الاقطاعيون والولاة الظالمون حتى زالت مقاومتها وخبت نارها واستكان مجموعها للجمود والخمود ، فما نفعت ثورات محلية تقوم من حين الى حين ولا نفع دين واخلاص للخلافة ولا انبعثت همة تزيل الجهل وتنير الفكر لتقدير الحقائق وعواقب الاستسلام ، وكان من تعاسة القرن السادس والسابع والثامن الهجري ان تفرد العثمانيون في حكمهم في طول البلاد وعرضها وقويت شوكتهم في الشرق فلم ينازعهم منازع ولا تصدت لهم قوة وقفت أمام فتوحاتهم واستبدادهم وكان انهاك الامم في حروبها الداخلية معيناً للعثمانيين على تماديهم ، وكان الجهل المستحوذ على الغرب سبباً لانقسام الدول وتخاذلها فظلوا سليمين من الغارات والحروب العامة واعتمدوا على الدهر وعلى جيوشهم في سيطرتهم وفرض ارادتهم كما اعتمدوا على الدين الاسلامي في ستر مقاصدهم ، وكان من سياستهم الدينية التي سهلت لهم المهمة ان أنشأوا الزوايا والتكايا وشيدوا الاوقاف ومؤسسات الطرق ومنها (المولوية) لتأييد خلافتهم وتأسيس سلطتهم الدينية ، ولكن العقول المتعطشة للعلم والحرية لم تبل ظمأها ولا استفادت من كل ما أوجدوه بل انساقت بفعل الاهمال والضغط الى التوكل والخنوع وكان من خلق رجال الحكومة وسياستهم وتعصبهم ومقاومتهم حرية الشعب وحرية الفكر انهم لم يسمحوا بتأليف جمعية علمية او ثقافية او سياسية ولا أنشأوا مجمعاً علمياً لترقية العلوم وتنوير العقول ولا ساعدوا مشروعاً تعاونياً من شأنه بث روح الخير والتعاون على تخفيف احتياجات الناس ولا احترموا روح الديموقراطية (اي حق الشعب في الحكم) التي هي

من خصائص العرب والاسلام ، وكأنهم جبلوا على التحكم والسيطرة والاستبداد فخنقوا كل حركة تؤدي الى التحرير واستعادة الحرية وأسرعوا في التنكيل والفتك دون شفقة ولا انصاف اذ كانوا لايعرفون رحمة ولا هوادة ولا يرون الامور بغير عينهم الضيقة وفكرهم القاصر ، ولولا تطور الزمن بالرغم عن ارادتهم لما سمعنا بجمعية الاتحاد والترقي ولا بجمعية الائتلاف ولا بنادي العرب ولا بمحافل الماسون ، ولكن لما جاء القرن التاسع عشر وعقبه القرن العشرون وكان الترك قد لحقهم الضعف وانهزموا في ميادين السياسة وميادين التنازع الدولي وميادين الدفاع وتقدمهم الاوربيون في العلم والصناعة والحرب وفاقوهم في غيرها من مظاهر المدنية وأسباب العمران ، اضطروا لتبديل أساليبهم في الادارة والسياسة والى تعديل خططهم في معاملة الشعوب المحكومة لسلطانهم ، ولما جاء الدور الحميدي أي دور السلطان عبد الحميد سنة ١٢٩٢ اذا هم امام احوال دولية قاهرة ومطاليب شعبية لا يمكن ارجاءها فألجأتهم الى تأليف مجلس نيابي وقبول أنظمة اوربا في المحاكم والمدارس وكان هذا السلطان بما سار عليه من الاصلاح ورغبته في السلام وتخوفه من الثورة والقيام قد توفق الى حد ما في اعماله وادارته وسياسته لو لم يعتمد على الجاسوسية وعلى اشخاص أخلصوا له المحبة ولم يخلصوا للدولة وله النصيحة ، ولم يتعظ ويعمل بنصائح وزيره (مدحت باشا) الذي كان رجل الدولة وكان عاقلا حكيما سعى للاصلاح ولكن لم يتفق واياه لشذوذ طبعه وكثرة تخوفه وكان جزاؤه النفي والاعدام ، واستمر عبد الحميد في سياسته المتقلبة واصلاحاته المعتلة والسلطنة في مهب الرياح ، والخطب يتفاقم ، والثلاثون سنة التي قضاها على عرش آبائه لم تقوم المعوج ولا نظمت الامور ولا أبعدت المخاطر الى ان جاءت سنة ١٩٠٧ ميلادية واذ بجمعية الاتحاد والترقي تعلن الدستور ثم بعد اربع سنين اي في سنة ١٩١١ — ١٩١٢ تخلعه من عرشه وتجلس أخاه السلطان رشاد مكانه وتسجنه في قصر خاص في سلانيك ويبقى حتى جاء أجله واصبح كامس الدابر من سكان المقابر على ان زوال السلطان واستبداده وبطانته من الوجود والانقلاب الذي حدث وما رافقه من حوادث وتطورات في السياسة والادارة لم يأت بالفائدة المطلوبة ولا

أعاد للمريض صحته ولا شفى اسقام الامة بل توالت المشاغبات وتعالت الصيحات واشتدت مطامع الغرب وزادت الفتن وولاة الامور تتعامى وتتجاهل والحقائق محسوسة ملموسة والشعوب المحكومة في يقظة مستمرة وانتباه شديد لما يبيت اعداؤها مالا يرضيها من حياة سعيدة فراحت تطالب بحرياتها وتبحث عن مقدراتها وتتخوف من مستقبلها ، وكان العرب من الامم التي سبقت غيرها في هذا المضار ولهم العذر والحق لان جمعية الاتحاد والترقي التي تسلمت قيادة السلطنة وتصرفت بسياستها ومعظم رجالاتها من غلاة الترك ومن حديثي عهد بفهم ذهنيات الاقوام لم تفكر وزراؤها في لم الشعث وجمع الكلمة ودرء المفاسد واتخاذ خطط معقولة حكيمة لاصلاح الدولة من أساسها بتقوية الجيش وابعاده عن السياسة وترك سياسة التتريك واثارة الحفيظة القومية وتقوية القضاء ، واختيار الاكفاء للعمل ، وتنظيم امور الدولة ، واجراء الاصلاحات السريعة في المدارس والطرق والمدن ، والمساواة بين الرعية ، واعطاء كل ذي حق حقه ، ومنع التعدي على الحقوق والاشخاص ، وتعديل القوانين ، واجراء سياسة مالية وعمرانية واقتصادية يرضى عنها الشعب وتتفق وحاجات العصر ، وجعل الحكم نيابياً ديموقراطياً لا حكماً تركيا عنصريا عسكريا ظاهره غير باطنه ، بل كانت خططها وخططهم وضعت لتعزيز التركية وتقوية السلطان التركي ، والثقافة التركية والقومية التركية ، وتتريك العناصر التي تمت الى اقوام أخرى ، فسقطت هي والوزراء والجيش في هوة الخطل والخطأ وهاجمتها الدول : (اليونان والبلغار وايطاليا) فانتزعوا منها ولايات البلقان ما عدا (أدرنه) التي بقيت للترك ثم طرابلس الغرب التي اقتطعتها ايطاليا والحقتها (بامبراطوريتها) واستقلت اليمن وأخرجت الجيش المرابط والوالي الحاكم ، ومنذ سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩١٤ ميلادية والدولة العثمانية في بحران من الشدائد والمسألة الشرقية قد جاشت وتحفزت لاشر والدول المستعمرة تنتهز الفرصة لتقسيم الدولة وسلخ مقاطعات جديدة منها .

وكان العرب يشعرون بما دهمهم وبما سيلحقهم من اذى اذا ظلوا متمسكين ومستسلمين لها بكونها دولة الخلافة وهي المسؤولة عن مقدرات السلطنة فاجمعوا امرهم وعزموا على

عقد مؤتمر لهم لدرس مسائلهم على ضوء ما يعلمون وما يجب ان يعملوا لانقاذ بلادهم ، وفي سنة ١٩١٣ تنادوا من كل حدب واجتمعوا في باريس وتداولوا وتباحثوا واتخذوا لهم مقررات كدستور للعمل جاء في احداها المطالبة (باللامركزية) لبلاد العرب ، وجعل اللغة العربية رسمية واستعمالها في الدواوين والمدارس والمحاكم ، ثم طالبوا بابقاء الجنود المجندة من البلاد العربية للدفاع عنها وحفظ الامن فيها ثم الاحتفاظ باوقاف العرب للعرب وتعيين الموظفين من العرب في مراتب الدولة ووظائف الحكومة بنسبة مجموعهم وحسب كفاءتهم وترجيح ارسال موظفي العرب الى بلادهم ثم ابقاء ارتباط الاقطار العربية بالدولة تقوية لها وللخلافة ودفاعا عن سلامتها ثم انشاء المعاهد العلمية العالية كالطب والحقوق والزراعة والهندسة والحربية وغيرها في الاقطار العربية لنشر العلم بينهم ورفع مستوى ثقافتهم وتمكين شبيبتهم من مناهل العلم وارتقاء المناصب أسوة بغيرهم من ابناء الدولة ، وهي كما ترى مطالب حقة ومعقولة من شأنها تحسين البلاد وتأييد الارتباط والتعاون وتمكين العرب من اظهار مواهبهم واستعادة حقهم وبناء حضارتهم .

وفي اثناء المؤتمر احس الاتحاديون بخطر الموقف وان له ما بعده فاسرعوا الى استرضاء المجتمعين بالاجابة الى بعض مطالبهم والوعد بدرس الباقي والسعي لاقراره وتنفيذه ، وكانت الدولة قد خرجت من حرب البلقان وهي منهوكة القوى فنفذت قسما من المطاليب وماشت الزعماء بقدر الامكان وتحت ضغط الحوادث ولم تكن في نفسها راضية خوفاً من انتقاص سلطتها فاعدت العدة لاغراء بعض الزعماء المجتمعين بالوظائف والدس بينهم (والترك في ذلك بارعون) ولكن العرب لم تفتهم الدسائس ولا أغرتهم الوظائف فاصروا على تحقيق مطالبهم وجاهروا بوحدتهم وقوميتهم والدفاع عن الحفيظة والذمار وكان للنادي العربي (وجمعية العهد) (وجمعية الفتاة) (وجمعية اليقظة) وكلها من الجمعيات القومية التحريرية التي ساهمت في ايقاظ الافكار وتنبيه العرب ولها الفضل في تقوية الحركة التحريرية وتوجيهها الى المقاومة ودوام المطالبة وعدم الخنوع والاستسلام ، وكان الاتحاديون كلما اشتد العرب في مقاومتهم امعنوا في تسويفهم ومخاوفهم وعمدوا لانتقاء الاشداء من

رجالاتهم وولوهم العمل لاضعاف الحركة وتفريق الصفوف .

وعندما حلت الكارثة العالمية واعلنت الحرب العامة رأى رجال الترك ان الفرصة سانحة فأبطلوا ما عاهدوا العرب عليه ونكلوا عما وعدوهم به وراحوا يعملون للانتقام وتنفيذ الخطط التي وضعوها لحزبهم فوسعوا شقة الخلاف واوجدوا التنافر الذي باعد بين القلوب .

وقد يؤاخذ العرب بمطاليبهم واصرارهم عليها ابان الانقلاب العثماني وهم يعلمون ان الغربيين يتحينون الفرص ويتآمرون على اضعاف الخلافة وتمزيق السلطنة العثمانية ،ولكن من ينظر الى الاخطار المحيطة بالسلطنة في ذلك الحين ويعلم ان دول الغرب سوف تحتل بلاد العرب لضعف الحكومة وضعف الجيش ، اذا لم يجدوا من أهلها قوة تقاوم مطامعهم ويقظة تصد دعاياتهم ، أقول من ينظر الى هذا وينظر الى روح السياسة المستحكمة في أذهان اهل الحل والعقد يتحقق لديه ان الترك لم يفهموا من الواقع ومجرى الحوادث سوى بقاء حكمهم ولم يتعظوا من الماضي بما يفيدهم لتلافي الخطأ ولم يشعروا بالضرورة المبرمة لاعطاء العرب حقوقهم ولا جربوا مساعدتهم على النهوض والتحرر مع بقائهم ضمن الخلافة كي يكونوا لهم عضداً وسنداً ، ويعلم ايضاً أن الاجانب كانوا ولا يزالون يعملون لتحرر الارمن والكرد واليونان والصرب والارناؤوط ومدهم بالمال والسلاح والعتاد والرجال والاتحاديون وهم يعلمون ذلك كانوا يهتمون بامورهم ويجيبونهم الى مطاليبهم في اصلاح ولاياتهم ، اما العرب فلم يستمدوا العون من الاجنبي ولم يطلبوا منه مساعدة او مالا ، ولا عمدوا للانفصال والاستقلال الناجز ، بل جل مطاليبهم كان يرمي اهدافاً حيوية معقولة لاينكرها ذوو العقل السليم والسياسة الحكيمة ، ولكن حكومة الترك اهملتها وانكرتها وطعنت بزعماء العرب وحاربتهم بالدعاية والقالة السيئة ، وأمعن الاتحاديون في اضطهاد الاحرار ونفيهم ومناوأتهم وقبضوا اليد عن معاونة جمعياتهم .

ولذا كان العرب على حق في تدابيرهم وخططهم وفيما سعوا اليه ، اما وان الاضطهاد والاستبداد وتوالي المصائب وشدة الارهاق تجمع القوى المبعثرة وتربط القلوب المتألمة

وتدفع الفرد والجماعات الى الخروج من مكامن الغفلة وتوقظ فيهم روح الدفاع عن الحياة والكرامة والحق لقد كان العرب محقين في قيامهم وجهادهم وقد ارادوا استدراك ما فاتهم واتباع سنة اجدادهم وأرادوا تقوية بلادهم وعنصريتهم حتى لا يطمع بهم طامع ولم يكن هدفهم تمكين الاجنبي أو سواه من الاحتلال او بيع رقبتهم للاستعباد ولم يقتصروا في هدفهم التحريري على قطر دون قطر آخر بل تعاهدوا على تحرير الجزيرة العربية من اقصاها الى أقصاها وتوحيدها وانشائها وطناً حراً للامة العربية مطهرة من كل سيطرة اجنبية ومن كل استعمار ظاهري او باطني واقامة حكومات وأنظمة وادارات تلائم طبيعتها وتساعد سكانها على انماء مواردها واستثمار خيراتها وازدهار ثرواتها الطبيعية والصناعية وتمكنها من الدفاع عن كيانها ومحاربة من يريد بها السوء .

وبعد ، فان استقلال البلاد العربية كان ضرورة تقتضيها الطبيعة وتفرضها السياسة وتلزمها المواقع الحربية لوقوعها في مفرق الطرق ، طرق المناقلات البرية والبحرية والهوائية وطرق الاتصالات بين افريقيا وآسيا واوربا ولاتصالها بالبحر المتوسط والبحر صلة حربية وتجارية لدول الاستعمار والاساطيل الامبراطوريات عدا ما في البلاد العربية من ينابيع النفط (البترول) ، فاستقلالها اذاً يضمن التوازن الدولي والازدهار التجاري والصناعي ويضمن لاهلها السلامة والحرية والنمو والرقي .

ولهذه الغاية وحدها قام العرب يبثون الدعايات ويؤلفون الجمعيات وينشرون الصحف ويؤسسون الاندية ، ولهذه الغاية وحدها صاحوا صيحتهم وبذلوا جهودهم وضحوا باموالهم واولادهم ورجالاتهم منذ أربعين سنة حتى الان .

نعم ان الحركة الاستقلالية لم تكن قديمة ولم تكن سريعة ولا عنيفة لان العرب كانوا ينظرون الى الدولة العثمانية بعين الدين ولا ينظرون اليها بعين القومية ولذا حرصوا امدة على الخلافة ولكن ذلك لم يمنع ابراهيم باشا المصري من السعي (لتحرير الاقطار العربية واستقلالها واعادة حضارتها) فحارب الدولة وهزم جيوشها وحكم سورية والحجاز مدة ١٦ سنة ووصل بفتوحاته وانتصاراته حتى حدود (قونيه) ثم لم يتوفق في مشروعه وتثبيت

أقدامه اذ تألبت عليه جيوش انكلترة وفرنسة وتركيا وقاومته وهددته فارتد على اثره بجحافله وغلب على أمره وانسحب من سورية والحجاز وفلسطين واستقر في ملك مصر له ولوالده ولأعقابهما يتوارثون الخديوية المصرية ولم يقم بعده في وجه الدولة من طالب او ثار او سعى الى ما سعى اليه الآ الشريف حسين بن علي أمير مكة والمدينة الذي انتهز فرصة الحرب العامة ، والغاء الترك امارته ، وتصديهم لعزله ، وقتلهم أحرار العرب في سورية والعراق واضطهادهم المتعلمين والضباط ونفيهم الاسر الوجيهة وكل من له رأي نافذ وقول مسموع الى الاناضول وغيره ، واغلاقهم الاندية والجمعيات ، والغائهم كل ما تعهدوا به للمؤتمر العربي ، وغير ذلك من الامور التي كشفت عن نيات الترك الاتحاديين وفظائعهم فأعلن ثورته المشهورة سنة ١٩١٦ ميلادية وعاونه الانكليز فامدوه بالعتاد والمال وكان من مصلحتهم معاونته لاضعاف الالمان وابعادهم عن مصر وطريق الهند وظفرت جيوش الشريف وجيوش الانكليز سنة ١٩١٨ ودحرت جيوش الالمان ومعهم الاتراك وانسحبوا من البلاد العربية منهزمين ، وفي ١٧ تشرين اول ١٩١٨ أعلنت الهدنة وتوقفت الحرب وتسلم الامير فيصل ادارة سورية وتسلم والده الشريف حسين ادارة الحجاز وشرقي الاردن واحتل الفرنسيون سواحل سورية من بيروت الى الاسكندرونة واحتل الانكليز فلسطين والعراق الى ان يتم الصلح العام ويقرر مصير الاقوام .

وحيث قد أشرنا الى ما كانت عليه الدولة العثمانية من تقهقر وانحطاط في سياستها واعمالها يجدر بنا ان نفصل ما جرى لها في المدة الاخيرة بعد سقوط عبد الحميد الثاني واستواء السلطان رشاد على عرش المملكة وتسلم الاتحاديين زمام الادارة ، أقول : مما لاشك فيه ان من دواعي دحور العثمانيين وزوال ملكهم وقيام العرب عليهم ان الحكومات التي تألفت بعد الانقلاب العثماني الاخير من اتحاديين وائتلافيين ثم اتحاديين لم تجر على سنن قويمة في ادارة الملك ولا بادرت الى درس أمراض الامة وآلامها ولا مطالبها ، ولا وضعت أسساً جديدة للاصلاح والسياسة الداخلية والخارجية ولم يكن من تجانس بين

رجالاتها ولا أهداف صالحة لاعمالها بل تغلبت عليها الحزبية والعنصرية والمطامع والانانية وهي شر ما تبتلى بها الحكومات وتكون سبباً في زوالها وكان من ابرز ما تتخذه الاتحاديون هدفاً لهم سياسة التتريك وانماء الروب الطورانية اي الجامعة التركية واضعاف العناصر الاخرى ومقوماتها القومية وللوصول الى ذلك استخدموا المفرطين من دعاتهم في ادارة الوظائف ونشر الصحف وتأليف الكتب . وعملوا مع الالمان ليمدوهم بالقوة والمال واصلاح الجيش وتزويده بالعتاد وفي مقابل ذلك مكنوهم من استثمار موارد الدولة وثروات البلاد فاعطوهم امتياز الخط الحديدي من حيدر باشا الى بغداد واستجلبوا منهم المهندسين وقواد الجيش واساتذة التدريب والتعليم ثم ابتعدوا بسياستهم عن بقية الدول ، ولستر مقاصدهم تظاهروا بحماية الخلافة وتعزيز مكانتها والعطف على المسلمين ودينهم الحنيف ، وهيأوا شبيبتهم للقومية المغرضة والطورانية الجامحة والجنكيزية الفاتحة ، وهاجموا العرب والكرد والارمن والجركس واليونان وكلهم من عناصر الدولة يفوقون الترك عدداً وأهلية ، واستعانوا على مآربهم بخطبائهم وولاتهم وموظفين اختاروهم لانفاذ سياستهم .

ولكن العرب هالهم ما يلوح في افق السياسة من مخاطر وهالهم السكوت عما يدبر لهم وخافوا العواقب وما تلده الايام من محاذير ومهالك فشمروا عن ساعد الجد وجمعوا شتاتهم وتفاهموا وانتظروا الفرصة حتى سنحت ، وكان ما عمله جمال باشا السفاح من نفي وقتل اثنى وخمسين عربياً ، ومن تسليط أعوانه على الاعراض والقوت والاموال والارواح ومن قتله آلاف السكان في القرى ولبنان جوعاً ومرضاً ونفيه كل من اعترض على سياسته ونقد أعماله ، ومن ضبطه المحاصيل والبضائع باسم الجيش وبيعها للتجار واقتناء قيمتها له وللاعوان ومن تبذله وتبذل قادته وضباطه وانهماكهم في المحرمات والمنكرات ومن جباية الاموال وسوقه الجنود بالحراب ، ومن قيام رفيقه جواد باشا في العراق بمثل ما أتى به قتلا ونفياً واستبداداً وظلماً وتبذيراً ، وقيام رفيقه الثاني وهيب باشا في الحجاز بمثل قيامهما من سلب امارة الشرفاء والقضاء على كل نافذ في اموره رفيع في منزلته ومكانته ، ومن تجريد انور باشا وزير الحربية ما في بيت الله مكة والمدينة من مجوهرات وتحف ونفائس

وآثار ونقلها الى الآستانة غنيمة باردة .

كان كل هذا وغيره مما دعا الشريف الى ان يحارب العثمانيين ويقاتل معه الاحرار الفارون ، وقد تم له النصر في حدود سنة ١٩١٨ وانكسرت جيوش الاتراك في العراق وأرضروم ، ثم مات رشاد وتولى الامر وحيد الدين ثم خلع وجاس مكانه عبد المجيد الثاني ، وكان الاتراك قد استسلموا للحلفاء وقام احد القواد الترك مصطفى كمال باشا بثورة في الاناضول وخلع نير الطاعة وبقي يجادل ويحارب ويلتف حوله الضباط والامراء والاحرار حتى قوي عزمه وتكاثف جيشه ووصله المدد الكافي من عتاد وذخائر من الروس والالمان والايطاليين والفرنسيين فحارب اليونان الذين كانوا احتلوا بلاده ومن ورائهم الانكليز وتم له النصر في حدود سنة ١٩٢٠ — ١٩٢٢ ، ثم جمع شتات الشعب التركي وحصر جهده في تحصين الثغور وتقوية الجيش والاكثار من الجنود والعتاد .

ولما استتب له السلطان أزال السلطنة العثمانية واخرج ملوكها واسرهم وذريتهم وأقربائهم وضبط املاكهم وحرم عليهم العودة وأعلن الجمهورية ورأسها وألف مجلساً شعبياً للاشراف على مقدرات البلاد وسن الشرائع وانتخب نفسه رئيساً دائمياً مدى الحياة وامر برفع الحجاب ومنعه وقبل القانون المدني السويسري بكامله وبتر كل ما هو قديم من لباس وعادات وآداب والزم شعبه المدنية الغربية بعجرها وبجرها وسيئاتها وحسناتها واقتدى ببطرس الاكبر ملك الروس سابقاً في اصلاحاته وخططه دون ان يعتد بسنن التطور والاجتماع او يحسب لآداب القوم وتقاليدهم ودياناتهم اي حساب بل جعل الدولة علمانية وترجم القرآن بالتركية وحرم تلاوته بالعربية وأغلق التكايا والزوايا وضبط الاوقف وجعلها ملكا للدولة ومنع لباس الطربوش والعمة وأبدل القبعة (البرنيطة) الغربية بهما وأمر بطرح ما في اللسان التركي من كلمات عربية وفارسية وأجبر القوم على ان يتخذ كل منهم لقباً لاسرته يقتبسه من كلمة تركية وأبطل استعمال الحروف العربية لكتابة التركية واستبدل الاحرف اللاتينية بها وغير كثيراً من انظمة الدولة والادارة وأتى باصلاحات جديدة اقتصادية وعلمية وعسكرية وسياسية فكان موفقاً في أعماله وبخاصة

تقوية وضع الاتراك الدولي وتثبيت اساس الجيش في تنظيمه وتدريبه،ثم ابطل جميع المعاهدات والامتيازات الاجنبية التي كانت غلافي اعناق العثمانيين فاكسب الشعب حماساً وهمةوشعوراً بكرامته وعزته ، ولا شك انه كان رجلا فذاً جسوراً ضرب لرجاله المثل الاعلى في الهمة والتنظيم والاصلاح ، ولكن ما أفاد الاتراك اليوم من عمله قد لايفيدهم في الغد اذ لايعلم احد ماذا سيكون من الاثر الذي سيبقية تركه الدين وتحوله عن الشرق وابطاله العربية واباحته اللادينية وقبوله الحروف اللاتينية والزام الشعب المدنية الغربية بكل ما فيها من أدواء وعلل في تطور الامة وتقدمها وفي اخلاق اجيالها القادمة .

وبعد ان ذكرنا انتهاء الحكم العثماني وما كان في سني الحرب الاولى ، وقيام الحكم الكمالي نسبة الى مؤسسه مصطفى كمال او مصطفى (اتاتورك) او مصطفى كمال باشا السلانيكي فلا بد لنا من ذكر أهوال سني الحرب العامة وما تركته من اثر سيء في حياة الامة ونفوس ابنائها فنقول : ان السنين الاربع التي أعقبت مباشرة الحرب العامة اي منذ سنة ١٩١٤ الى نهاية ١٩١٨ كانت سنين انتقام ومحنة وجوع ومرض ونفي وقتل وفتك بالاعراض وسلب للاموال وخروج عن سنن العمران والنظام والعدل .

وكان العرب يساقون الى الموت في أخطر الساعات وأخطر الجبهات والميادين لادفاعا عن بلادهم وتراثهم بل للتخلص منهم ومن ضباطهم وقادتهم بالقائهم في اتون الحرب ليكونوا طعماً للعدو .

وكان العرض يباع بالرغيف ، والامراض قد انتشرت في القرى والحياة قد قتلت كثيراً من اهلها ولا سيما المصابين بقلة الغذاء ، وكانت جثث الموتى تشاهد مرمية في قارعة الطريق ، وكان الاطفال والمهاجرون الفلاحون يموتون لا في ميادين القتال ، ولكن في ميادين البؤس بالجرائم الفتاكة والجوع القتال .

وكانت الناس قد نقموا عليهم اعمالهم ونفروا من سوء افعالهم وكان الانسان اينما سار وحيثما وقف يسمع اللعنات تصبها الافواه عليهم من كل جانب ويرى كلا يتذمر ويحرق عليهم الارم ، فكيف يستقيم الحال ويصبر المتألمون على البلوى مع دوام الظلم ودوام

الامتهان ، وهل تستطيع الرعية والموت يأخذ افلاذ أكبادها ان تكتم ألمها وتخفي شكواها وتصبر على الجور والولاة منغمسون في ملاهيهم وملاذهم؟ كلا ثم كلا .

اذا لابد ان يعقب الشكوى عصيان ، وان يعقب العصيان ثورة ، والثورة احدى الامرين ، والعصيان احدى الطريقين ، والحرب حياة لمن يريد الموت عزيزاً وموت لمن يريد الحياة ذليلاً ؟ واذا اعترض قائل فقال، وماذا استفاد العرب من قيامهم وانفصالهم ؟ أجبناه ان العرب عملوا لخلاصهم وتحرير بلادهم وضحوا باموالهم وانفسهم في سبيل استقلالهم .

فالعبرة وان كانت للنتيجة والبلاد سواء استقلت ام لم تستقل الا ان الشروع في العمل والثبات على المطالبة والقيام باداء الواجب مع قوة العزيمة وشرف القصد غاية نبيلة يحرص عليها كل عاقل ولا يختلف فيها اثنان .

هذا ما كان من سني الحرب ومن نتائج السياسة التي ظهرت خلالها ، وبهذه المناسبة جدير بي ان اذكر ان اكثر زعماء الاتحاديين كانوا من يهود سلانيك المهتدين او كما يسمون أنفسهم : دونمه اي المرتدة .

وهم دخلوا في الدين الاسلامي قبل عصرين اي قبل مائتي سنة لاحبابه ولكن خلاصا من مظالم الاسبان فالتجأوا الى الدولة العثمانية ونزلوا في سلانيك وأظهروا اسلامهم ليتمكنوا من حفظ سلامتهم والنفوذ في قلب السلطنة العثمانية وكانوا يتسمون باسماء اسلامية ولكنهم لا يجوزون مناكحة من ليس منهم ولا يتقيدون بالفرائض الدينية الاسلامية ولكن بتقاليدهم وتعاليم دينهم اليهودي وكانوا كثيري العدد ، ثم انهم انتشروا في استانبول وازمير وتقلبوا في مناصب الدولة وتولوا اهم وظائفها ومناصبها : كجاويد الذي كان وزيراً للمالية وحتي الذي كان صدراً ، وكانوا يسعون لاعادة هيكلهم وجمع أبنائهم في فلسطين وتأسيس وطن لهم فيه ، وكانوا يكتمون أمورهم ويعلنون غير ما يضمرون ويظهرون الولاء للدولة والحماسة للطورانية ويعملون للحرية والمساواة .

وقد توفقوا لكسب قلوب رجالات الترك واستجابوا الضباط العسكريين الى حظيرتهم واقاموا المحافل الماسونية لستر غاياتهم وأسسوا مع جماعة طوران جمعية الاتحاد والترقي التي

كان مركزها الاصلي سلانيك ومناستر، وكان لهم ما أرادوا وما أرادوا الا الاستيلاء على الدولة وقلب نظام الحكم حتى يتخلصوا من عبد الحميد وبطانته فتم لهم ذلك كما فصلناه وانقرضت الدولة وزالت الامبراطورية العظيمة .

واجتنابا لكل قصد سوء ودفعا لكل التباس نقول ان كلامنا كان عن الاتحاديين والمرتدين ومن شاكلهم لا عن الترك ابناء الاناضول الخاص ولا عن الموظفين في الدولة الذين كان منهم من لا يرضى عن سياسة الحكومة ولا عن سياسة سلاطينها ولا عن سياسة الاتحاديين ولا عن أخلاق الذين فرقوا الكلمة وأهانوا العرب .

وحيث ذكرنا في سياق الحديث السابق ما قام به منقذ تركيا الحديثة (اتاتورك) وما أجراه من اصلاحات وما ادخله من أنظمة وسياسة جديدة نود ان لا نغفل عن نقده وملامته على ابتعاده عن العرب واهماله الاخذ بيدهم ومساعدتهم وكان يستطيع ذلك بعدما أنقذ أمته وفاز باملاء ارادتها في مؤتمر الصلح وكانت قضيتنا بين يدي ممثليه : (عصمة اينونو ورشدي آراس) على مائدة المذاكرات، فلم يفعل بل تجاهل كأن سورية والبلاد العربية ليست مجاورة لبلاده ولا يهمه ضعفها او قوتها .

وتتمما لما سلف لنا بحثه عن ثورة العرب والجهود التي بذلها أبناء سورية في سبيل القضية العربية عامة والسورية خاصة، نصف ما كان بعد انسحاب العثمانيين ودخول جيوش الحلفاء وجيوش العرب البلاد العربية .

كلنا يعلم بأن جيوش الانكليز احتلت فلسطين وشرقي الاردن وحلب ودمشق وحمص وحماه وكليكيا، واحتلت العراق وأباحت للفرنسيين ان يحتلوا سواحل سورية : بيروت وصيدا وصور واللاذقية واسكندرون وكانت جيوش العرب قد احتلت مع الحلفاء من عمان الى حدود الفرات وتألفت حكومة محلية في دمشق رأسها الامير فيصل قائد جيوش العرب يعاونه الرجال الذين انتخبهم وأصدر أمره بتوليتهم فتولوا دمشق وحلب وحمص وحماه ودير الزور وحوران وجبل الدروز واقضيتها وتألفت في لبنان حكومة محلية تشرف عليها فرنسة وعلى المحلات التي امتد اليها جيشها، وتألفت في العراق حكومة محلية تشرف عليها انكلترا ورجالاتها الذين جاءت بهم من الهند وتألفت في فلسطين حكومة محلية انكليزية

يرأسها انكليزي وتألفت في شرقي الاردن حكومة محلية يرأسها الامير عبدالله ويعاونه جماعة من السوريين والفلسطينيين .

وفي ١٧ تشرين الاول ١٩١٨ ، اعلن الحلفاء تصريحاً رسمياً اذاعه الاورد (اللنبي) يقولون فيه :

انهم لم يدخلوا الحرب الا لنصرة الامم الضعيفة ، والقضاء على الروح العسكرية الالمانية ، وتخليص العرب وبلادهم من النير التركي ، ومساعدتهم على الاستقلال ، وتأليف حكومات مستقلة تستمد قوتها من الشعب وتحكمه وفاقاً لرغائبه .

ولكن هذا التصريح الصريح بمبادئه لم يكن الا تمويها على العالم بان الحلفاء كانوا على حق في جهادهم ، لان الانكليز كانوا تعاهدوا والحسين بن علي سنة ١٩١٥ على استقلال البلاد العربية وفي ضمنها فلسطين وسورية وشرقي الاردن والعراق ، ثم عقدوا مع فرنسة معاهدة أسموها معاهدة (سايكس — بيكو) تقاسما بموجبها بلاد الشام والعراق ، ثم في سنة ١٩١٩ تنازلت فرنسا عن الموصل التي كانت ضمن اتفاقيتها لانكلتره وتنازلت عن حصتها من البترول وذلك في مقابلة اطلاق يد فرنسة في سورية وانسحاب جيوش الانكليز منها ، فانسحبت وتركت ادارتها ومسؤوليتها للامير فيصل الذي ما كاد يستلم زمام الامور حتى بدأ الفرنسيون يناوئونه ويقاومون حكومته ويعملون لخلعه وعرقلة مساعيه فسافر الى اوربا وهناك افهمه الانكليز ضرورة الاتفاق مع الفرنسيين ، فاتصل بالمسيو كليمنصو رئيس الوزارة وكان رجلا صلباً وعاقلا وعقدا بينهما معاهدة عرفت (باتفاقية) فيصل — كليمنصو) وعاد الى سورية لتهيئة المحيط وحمل الشعب على قبولها واقناع الاحزاب بفائدتها والموافقة عليها وقد اتبع القاعدة الشرعية : يختار اهون الشرين واخف الضررين .

على انه اخذ أحسن ما يمكن اخذه وبخاصة في الاحوال الحرجة فانها تتجه الى سلب البلاد منه والاستيلاء على اهلها ، ولكنه ما كاد يصل الى سورية وتطأ قدماه العاصمة المنتظرة عودته بقلق لما يحمله من حلول ، حتى تقولوا عليه الاقاويل واشاعوا اخبار السوء ووجهوا اليه الاتهامات وتعالت الاعتراضات المغرضة وامتلأ جو البلاد بدعايات

غير صحيحة أثارها المعارضون والمرجفون الانتهازيون والفرنسيون الطامعون وانصارهم المجرمون بل عبيدهم المأجورون والناقمون الذين هم في كل دور وفي كل حال لا يرضون ولا يهمهم معاهدة ولا استقلال وجل همهم نيل رتبة او مال او غنيمة او وظيفة ، او ان يشبعوا نهمهم من الاموال والاراضي ويتحكموا في الحكومة ورجال الدولة ويسخروا (فيصلاً) وعمال (فيصل) لمآربهم ولو خالفت القانون واضرت بالاستقلال وثلت العرش واستعبدت العباد .

ولما ظهر اثر المعارضة وزاد الشغب في المؤتمر السوري وفي الاندية وفي تظاهرات الشوارع ، ولم يتمكن الامير ولا حكومته من تهدئة الاضطراب وتفهيم الحقائق لمن يريد فهمها ، استفاد الفرنسيون من قلق الرأي العام واضطراب الجو فصدموه في مساعيه وعرقلوا اعماله وأمسكوا عنه المال الذي كان يتقاضاه من واردات الجمارك ودسوا في صفوف الامة الدسائس وجذبوا الانصار لتأييد انتدابهم ومداخلتهم وحاربوه في الخارج بواسطة جرائدهم وممثليهم ، وتألبت عليه القوى الهدامة ، ولم يكن لديه الرجال المخلصون اهل الحزم والتدبير والبصيرة والشجاعة ليستعين بهم في معالجة الامور وتذليل العقبات وتوجيه الرأي العام الى ما فيه خيره وسلامته .

وكان من المنتظر ان يساعده الانكليز في تسهيل مهمته كصديق وحليف ، ولكنهم — ويا للاسف — انفضوا من حوله بعدما اتفقوا مع الفرنسيين واضعفوا سلطة والده حتى يسهل عليهم البقاء في فلسطين التي كانت تهمهم ولهم فيها مطامع خاصة ومآرب مستترة وحتى يسهل عليهم تنفيذ ما وعدوا به اليهود من الوطن القومي .

ولا غرابة في سياسة انكلترة ولا في سياسة حليفتها فرنسة ، وقد تكون ايطاليا والمانيا واميركا مثلها أو شر منها فحكومات الغرب على اختلافها لا تتقيد الا بقدر ماتوحي اليها مصالحها ، وانكلترة مهما ارتبطت باتفاقيات ومعاهدات فتمسكها بسلامة امبراطوريتها وسلامة الهند وحماية طرقه وسلامة ممتلكات التاج من كل دولة تطمع ان تحتلها او تمسها بسوء يجعلها لا ترتبط بتلك الاتفاقيات والمعاهدات الاترى كيف تخلت عن الملك حسين

وقد اتفقت معه على تحرير بلاد العرب واستقلالها ؟ الا ترى كيف اتفقت مع فرنسة سنة ١٩١٦ على اقتسام سورية والعراق ثم اخذت منها الموصل ؟ الا ترى كيف اعطت لليهود ما اسموه وعد بالفور سنة ١٩١٧ وهي مرتبطة بعهد مع الحسين ؟ الا ترى كيف قالت لفيصل : اتفق مع كليمنصو فاننا قررنا الجلاء عن سوريا وكيليكيا وتركها لفرنسة ؟ .

انها تعلم معنى الاتفاق ومعنى المعاهدة ، ولكنها ترى مصلحتها ومصلحة تاجها فوق كل مصلحة وفوق كل اعتبار ، فاذا تراجعت عن عهودها او نكلت عن وعودها ، فلها ما يبررها ولها عذرها ولها سياستها لتأمين خط الرجعة غير ملتفتة الى شرف العهود والوعود .

وماذا يفعل فيصل والبلاد واهلوها على شر حال : ثورة وطموح وتفرقة وقلة ادراك وقحط رجال وفقدان جيش ؟ وهل يستطيع الحرب والمقاومة ، وتركيا تحارب في الشمال لانقاذ بلادها ولا يهمها انقاذ العرب ، والانكليز قد انسحبوا من سورية وولوه ظهرهم كما رأينا ، والفرنسيون عقدوا اتفاقهم مع فيصل من جهة وقائدهم (الجنرال غورو) يجي الجيوش ويجلب المعدات والعدد ويثير السكان للقضاء على سلطته وامارته ؟

لو كان سهم واحد لاتقاه ، ولكنه اضحى عرضة لسهام اقتلها قيام اليهود في العالم لمناوأة العرب وسعيهم الحثيث لحرمان الامة من استقلالها وتآمرهم على فيصل والحسين وعلى سورية والحجاز وفلسطين والعراق .

واليهود قوة دولية خطرة هدامة ، اذا تألبت على اية امة اضعفت قواها الاقتصادية والسياسية وفتكت فيها بطريقة خفية منظمة فكيف بالعرب وفيصل وليس لهم في الخارج من يستعدون اليه ولا في العالم من يؤازرهم فيعتمدون عليه ، والدول لها من المسائل والاختلافات ما يشغلها عن سورية ومصيرها ! .

ليت فرنسة لم تكن مثل انكلترة في موقفها من العرب ! وليت غورو لم يتجاوز في اساءته الحد الأقصى فيتجاهل وهو يعلم حق العرب في الحياة والاستقلال ويتجاهل وهو لاتخفى عليه قيمة تضحياتهم وحلفهم وما ادوه من الخدمات لنصرتهم ونصرة حلفائهم !

وليته لم يتعام عما لفيصل من المزايا الخلقية والفضائل الحربية ! وليته أنصف فأزال سوء التفاهم وعبد الطريق وسهل العمل وتعاون واياه لاستقرار الامور وتهدئة الخواطر وتمكين الامير من تنفيذ اتفاقيته وتسيير دفة السياسة فيكون قد حفظ لاهل البلاد سيادتهم وحريتهم ومصالحهم !؟.

ليته لم يتأثر بالدعايات الصهيونية ولا بالدسائس الاكليريكية ولا بالآراء النفعية ! وليت الغرور لم يتحكم في نفسه فيسعى الى قلب الحكومة العربية واخراج اميرها ويسوق جيوشه الجرارة ليدخل دمشق فاتحا ويكتب في تاريخ حياته نصراً جديداً ، وقد علم ان الامة المتعطشة للحرية لا تحكم بالسيف ولا تقهر بالجيوش !؟.

ليته لم يفعل ذلك ويتكلف انفاق اثنى عشر مليوناً من الليرات لدخوله العاصمة خدعة، بل كان في امكانه مساعدة الامير والتساهل مع اهل البلاد والتفاهم والحكومة وتسهيل مهمتها ووضع حد للمشاحنات ومنع الانصار المستأجرين عن الدعاية والتضليل وتصفية المشاكل ؟ اجل : كان بالامكان ذلك لو ان في حكومة فيصل (من جهة ثانية) الرجل السياسي المحنك والقائد الحازم الفعال والوزير صاحب التدبير والرأي الثابت والمعتمد ذا الارادة الجبارة التي لا تلين امام الصعاب ولا تفزع من الشدائد ، ولو لم تقم تلك الاحزاب المشاغبة المعدمة النهمة وتثير الرأي العام بانواع الدعايات وتدعي انها حامية الاستقلال وموقظة النفوس ومرشدة الامة والذابة عن حياض الشرف والكرامة ، لهان الامر ووجد الجو الصالح وتمكن فيصل وهو الرجل اللبق والعملي البصير من معالجة المصير بحكمة ودراية ولكن كان في حكومته وحاشيته رجال ليسوا من هذه الطينة الطاهرة ولا من هذا الجوهر النقي الذي لا يتغير ، بل كان اكثرهم رجال تردد واستسلام وخوف وحذر وقلة تجارب وخبرة ، لم يمارسوا السياسة ومصاعبها ، ولا اشتغلوا في بناء الدولة وتدبير حركاتها ، ولا درسوا بالفطرة والاستعداد والبصيرة عوامل الطبيعة ونشوء الدول وقانون الأصلح وفلسفة النفس .

وكان من سوء حظ الدوران الشبيبة المثقفة طالبة الاستقلال المناضلة عن الحرية

والاستقلال ، كانت تشك في كل ظاهرة وتؤخذ بكل دعاية وتصرخ مع كل ناعق وتستعجل الزمن وتطالب بأخذ كل شيء ولو كان مستحيلا ، ولم يكن امامها رأس مدرك او قائد حكيم مدبر ، فمشت في طريق المقاومة عن عاطفة وهوى لا عن ترو وتقدير ، فكان من الطبيعي ان تتوارى عند الكوارث وتنهزم من الطليعة وتتيه في صحراء التفرقة .

واما الشعب ، فاندفع وراء مدعي الزعامة والصاخبين ، واتبع عواطفه وحماسه وهو كمن خرج من الظلمات الى النور ولم يعد يبصر ما في طريقه من عثرات اذ بهر النور عينيه أو كمن شرب الخمرة حتى الثمالة فاضاع صوابه ورشده وراح يهذي في اقواله ويضطرب في افعاله .

وبينما كان الامير يعمل في عاصمته وفي سائر المدن السورية ما يستطيع عمله لتقوية الحكم الوطني وتأييد سلطان الحكومة واصلاح ما خلفته الادارة السابقة من خلل وفساد واستبداد ، وبينما الفرنسيون يستمرون على ما هم عليه من مقاومة ودعاية وتهيئة ، اذ جاءت اللاجنة الاميركية (لجنة كرين) الموفدة من قبل الرئيس (ويلسون) رئيس الولايات المتحدة الامريكية للاستفتاء ومعرفة ما يريده العرب في كل منطقة من مناطقهم : (فلسطين شرقي الاردن ، العراق ، سورية ، لبنان) هل يطلبون الاستقلال التام الناجز ، ام مساعدة احدى الدول الداخلة في عصبة الامم للمساعدة والارشاد حتى يتسنى لهم الاستقلال ؟ واية دولة يفضلون مساعدتها او انتدابها ؟؟ وكان يصحب المستر كرين الدكتور كينغ ومعهما مستشاران فنيان ومدير اعمال وترجمان .

وبوصول اللاجنة وشروعها في العمل صرف الانكليز في فلسطين والعراق جهدهم لحمل الاهالي على طلب انتدابهم فلم يفلحوا ، وكذا صرف الفرنسيون في لبنان وسورية جهدهم لحمل الاهالي على طلب انتدابهم فلم يفلحوا .

وحدثت من جراء ذلك حركة وطنية جارفة بين الطبقات والاصناف على اختلاف نزعات القوم ومذاهبهم الا القليل منهم لرفض الانتداب ، والوصاية ، والمساعدة وقال الجميع بالاستقلال التام الناجز واذا لم يكن بد من المساعدة فهم يقبلون بمساعدة أمريكا

نظراً لحيادها الظاهر في حينه واذا لم يكن ذلك ممكناً فهم يطابون انكلترا ، اما فرنسة فيرفضونها رفضاً باتاً نظراً لما علموه من سياستها وسمعوه من تصرفاتها ولمسوه من اداراتها ونيات رجالاتها في لبنان والساحل السوري .

وبعد ان مكثت اللجنة مدة واتمت وظيفتها غادرت سورية فوصلت الى باريس في اوائل شهر ايلول سنة ١٩١٩ ، وارادت نشر تقريرها فتدخلت فرنسا في الامر لما علمته من النتائج التي وصلت اليها اللجنة وحملت الحكومة الامريكية على منع النشر فلم ينشر التقرير واكتفى الرئيس المستر (كرهين) بتقديمه الى واشنغتون عاصمة الولايات المتحدة وانطوى أمره وبقي خافياً عن اهل البلاد وعن محبي الحقائق التاريخية حتى ظهر مؤخراً ونشر مختصراً وفيه ماهية الحركة العربية كما عرفتها اللجنة ، وحقيقة اسباب قيام العرب وما هي وجهاتهم وما يلزمهم للاستقلال وماهي مطاليبهم وماذا يفضلون ؟ وقد روع الفرنسين ما وصلت اليه اللجنة من المعرفة الصحيحة وصحة رفض الانتداب ،وما قيل عن سياستهم وادارتهم حينئذ ، ولكن هل افادنا الاستفتاء ، وهل منع عنا الاعتداء ؟ وهل كان من سياسة الحلفاء انصاف العرب وتحقيق ما وعدوهم به ؟ .

ان الاستفتاء افادنا علمياً وتاريخياً وحقوقياً ، ولكنه لم يفدنا سياسياً ولا واقعياً ولا ساعد على التحرير لان امريكا لم تشترك فعلياً في مسائل اوربا وانسحبت من العصبة بعدما قضت وطرها من الحرب .

ومعاهدة (فيصل — كلمنصو) وان افادت حقوقياً وسياسياً لكنها لم تفد عملياً ولا غيرت نيات الفرنسين ولا نيات الانكليز ، فهم انسحبوا سنة ١٩١٩ من سورية ولكنهم تركوا لفرنسة حرية العمل اي الاحتلال واخلوا لها جو السياسة والرأي العام الاوربي ، فاحتلت رياق وبعلبك وعينت (غورو) قائداً عاماً لجيشها ومفوضاً سامياً يمثلها ويمثل تقاليدها في سورية ولبنان وكليكيا والسواحل الغربية ، فما معنى هذا ؟ .

معناه ان المعاهدة لاقيمة لها ، وان الحلف الذي عقد بين الحلفاء والعرب كان خدعة سياسية غربية !؟ .

قلت ان الامير عاد من باريس في ٦ كانون الثاني ١٩٢٠ ومعه مشروع (كلنصو) وقلت انه ما عاد الى سورية حتى صدمته المعارضة والمقاومة وشاهد ما في الجو السياسي من غيوم سوداء وظهر له ما كان ينويه الفرنسيون فلم يستطع صرفهم عن خططهم ولا اقناع انكلترة بمساعدته ولا التوفيق بين شعبه وبين فرنسة ، فاضطر الى مجاراة الحركة القائمة التي زادت قوة واضطراباً وحماساً وتأججاً ، واتبع رأي الزعماء المترئسين ، ورأى ان مقاومة التيار لا يجديه ، وان الظهور بالبلاد بمظهر القوة خير من ان يظهرها بمظهر الاستكانة والضعف ليثبت للفرنسيين عدم رضاء السوريين عنهم ، ولذا أجاب في ٧ آذار ١٩٢٠ رغبة المؤتمر السوري بقبوله الملكية على سورية والعراق ، وفي ٨ منه بايعه ممثلو الشعب وبلغ اعلان استقلال البلاد الى ممثلي الدول ، ووقف من الفرنسيين موقف الملك المسؤول عن مقدرات أمته وبلاده .

لقد كان التدبير خطيراً وفيه تهديد لفرنسيين كما ان فيه تقوية للحركة الوطنية ، ولكن الامر لم يطل فالفرنسيون قرروا اتخاذ خطة حازمة ومجابهة التطور بكل قوة ، فعززوا جيوشهم وزادوا في دعايتهم واكثروا من عتادهم ومعداتهم وبذلوا الاموال لشراء القلوب والانصار وأثاروا حرباً بالعصابات المسلحة في كافة انحاء البلاد ، ولما اتموا استعداداتهم ووثقوا بنجاح تدابيرهم ساقوا جيوشهم نحو (رياق) فاحتلوها ، ثم زحفوا نحو (دمشق) بعد ان ارسلوا انذارهم وشروطهم للتسليم وترك السلاح .

وفي ٢٥ تموز ١٩٢٠ دخلوها عنوة وظفروا في واقعة (ميسلون) التي تبعد (٢٠) كيلو متراً عن العاصمة على عسكر الملك فيصل وقتلوا وزير حربيته (السيد يوسف العظمة) وافنوا المجاهدين الذين كانوا معه وعددهم بالنسبة للجيش المهاجم ضئيل جداً ، وكان جيش العدو يربو على الاربعين الفاً وجيش

الملك لايزيد على الخمسمائة وكان جاءهم من جنود فيصل الخاصة الذين جاء بهم من الحجاز ولقد دافعوا عنه وعن امته واستشهدوا باجمعهم رحمهم الله جميعاً اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين .



حكم فيصل

ابتدأ حكم فيصل منذ ١٧ تشرين الاول ١٩١٨ ، وانتهى في ٢٥ تموز ١٩٢٠ ، اي ان مدته كانت سنة وتسعة اشهر ، ويعتبر ابتداؤه منذ انتصار جيوش الامير علي جيوش الترك والالمان ودخوله دمشق ثم حلب وحماه ودير الزور والجزيرة واسكندرونة وانتهاؤه بدخول الجنرال غورو عاصمة سورية خدعة وجبراً وحمله فيصل على ترك دمشق والنزوح عنها الى معان .

هل كان حكم فيصل سيئاً ؟ وهل كانت المدة التي قضاها في الحكم كافية للبرهان على كفاءته و كفاءة العرب للحكم والاستقلال ؟ وهل تعتبر سياسة فيصل التي جرى عليها مخطئة؟ وهل كان رجال العرب الاحرار يشتغلون في السياسة بدافع الآمال والاحلام ام بدافع التجارب والامكان والواقع ؟ ما هي العبر والنتائج التي يجب ان نسترشد بها بعد ان انتهى الدور ؟ وماهي العوامل التي أدت الى الفشل والخيبة؟؟ .

لاشك ان سنة وتسعة اشهر لاتكفي لوضع بنيان الدولة ؛ ولا باستطاعة اي قائد او فاتح او مؤسس ان يبسط سلطانه على بلاد مترامية الاطراف كالبلاد السورية والعراقية في هذه البرهة القصيرة كيف يستطيع والقوى المعارضة القوية تحيط به من كل جانب ، بل قوى الاول الثلاث : انكلترا وفرنسا وتركيا وكيف يقيم الدليل على كفاءته وكفاءة قومه ، وكل من هذه الدول تجهد في مقاومته وازعاجه لئلا تمكنه من الاستقرار والتأسيس والبناء .

كيف يستطيع هو او غيره ؟ والجيش لديه قليل وعدته ناقصة وامواله لا تكفي ورجاله الفنيون قليلون كيف يستطيع والبلاد العربية بأجمعها قد خرجت من الحرب حديثاً وهي منهوكة القوى ودامية الجروح ؟ .

كيف يستطيع والناس لم ينسوا بعد فظائع الماضي واهوال الحكام وفساد الحكم

والحكومة ؟ .

كيف يستطيع وفرنسة لم تدخر مالا ولا حيلة ولا دعاية ولا وسيلة الا استخدمتها لافساد الرعية وتفريق الرأي وتحريض المشاغبين والمأجورين والاحزاب المتعددة للخروج عن الطاعة والقيام بثورة مسلحة .

كيف يستطيع والجيش الذي زحف على عسكره يفوقه اضعافاً مضاعفة ولا قياس بينهما عدداً وعدة وتدريباً وقوة .

كيف يستطيع والحوادث والمصائب والكوارث قد توالت عليه من كل جهة بصورة لم تدع له وقتاً للتدبير والتفكير وتهيئة العدة ؟ .

كيف يستطيع وطبيعة الانقلابات السياسية والاجتماعية تثير الحماس وتذكي العاطفة وتلهب النفوس وتبعد العقل عن قيادة الجماعة ، فتتقاوم وتنساق دون روية ولا تفكير وتفر نفسها بنفسها من حيث لا تدري وتثير الشغب والطموح الذي لا يعرف حداً للمكان والزمان وتدفع الشعب الى التمرد والعصيان وتصم اذنيه عن سماع الحقيقة المرة ، فلا يعي قولا غير قول من يعده بالاستقلال ويصور له الاحلام ويقنعه بالمحال ويخرج له فرنسة وان لم يكن لديه القوة والجنود والمال والعتاد .

اترى والجو ملتهب ومكفهر تفيد النصيحة وهل يحكم العقل وهل من قيمة للاقناع ؟ كلا ! ... الجميع يقولون ويطلبون الحرب ، وينادون : نحن للحرب نريد الاستقلال التام ، نريد القذف بالعدو الى الخارج .

اصواتهم تتعالى ، والجموع تتوافد الى دار الملك ومعها القادة والزعماء والمترئسون والساسة والمستوزرون ، ومن ورائهم الشباب — شباب اليوم ورجال الغد — وقد هاجتهم الحماسة وهزتهم نشوة الاستقلال وملك قلوبهم حب المغامرة وجنون العاطفة وهوى الاحلام .

يقولون للملك : الى متى السكوت الى متى الصبر لنحارب ، للحرب للحرب !!! ولكن الجميع لا يدرون ما خبأ القدر لهذه الامة ، ولا يعلمون ما يخالج قلب المليك من حسرة

ويأس وقلق على المصير وادراك لما يحدث وفهم لما عليه القوم من جهل وحماقة ورياء .

مرت سنة وتسعة اشهر وهي المدة التي حكمها فيصل ، كما تمر الاحلام ، وكما مرت معها الآمال والأحداث ، وكانت غفلة الدهر وعبرة التاريخ ، فما احلاها وما أمرها ! وكان لابد منها لان للطبيعة أدواراً ومن ادوارها هذه الآلام وهذه التجارب حتى تعقل الامة وتدرك القول الحكيم : (ان الملك لايؤسس الا على هامات الرجال ، وان من لا يعد العدة يخسر الواقعة) .

اراد الامير الهاشمي (وآل هاشم : طهر القلوب ، خلص النية . يضحون في سبيل عقائدهم ويحملون رسالة ابيهم محمد بن عبد الله (ص) ولا يبالون على اي جنب يقتلون في سبيلها) تحرير الامة العربية وبلادها وان ينتهز الفرصة السانحة لتأسيس ملك ثابت لها ويستعيد مجدها وحضارتها ، فلم تساعده الاقدار ولا ساعده المحيط ولا ساعده الزعماء ، فغدا فريسة العدو وهوى هو وعرشه ، وسقط معها الاستقلال .

/ سنة وتسعة اشهر كانت كافية لكشف الحقائق وكشف نيات الفرنسيين وكشف خفايا ادعياء الزعامة والمتقربين الى فيصل ، والذين كانوا يدعون الوطنية ويمدون ايديهم الى الاجنبي ليقبضوا ثمن خيانتهم، فان اغفلت الاقلام اسماءهم اليوم فسوف يذكر التاريخ كلا بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر .

ان فيصلا — والحق يقال — لم يخطيء بسياسته ولكنه لم يجد في الملمات من يتكل عليه ويستند في امور الحكم اليه وقد ظن بعض الناس ان الاقوال وحدها تكفي لاخذ الاستقلال وطرد العدو ، وظن البعض الآخر ان الحكم الوطني معناه الاستغلال واشباع المطامع وتأمين المنافع الخاصة ، فكيف ينجح فيصل ومعظم الذين آزروه أو نادوا بالاستقلال كانوا من هذا الطراز . /

لقد كان في الامكان مداواة العلل التي بلينا بها ومعالجة تلك النفسيات المتفسخة التي افسدها الحكم العثماني لو ان في الاجل فسحة ولو ان التجربة امتدت اكثر من هذه الشهور ولم تقاومنا فرنسة وتجرد علينا جيوشها ولم تختل السياسة العالمية وتنصرف الدول

الى اغتنام الفرص فتنقض على الدول الصغيرة كما فعلت ايطاليا وفرنسا وروسيا واليابان ، ويكون لكل منها شاغل عن نصرة الضعيف .

لم يكن المرض ولا الفقر ولا اليأس من حسن الادارة كل ما يشكو منه الوطن ، بل كانت فيه جراثيم الرجعية والخيانة تسمم روحه وجسمه وتنخر عظمه ، وكانت فيه فئة من المرتزقة عبدة المال والقوة والجاه تتآمر على حياته ، وكان فيه جيوش الاجانب المحتلة من فرنسيين وانكليز تتنافس في السيادة وتتسابق الى بسط النفوذ وتخلق الشائعات والفتن وتضع العراقيل ، وبخاصة الفرنسيون فانهم بذلوا أقصى جهدهم لقاب الدور واثبات عدم الكفاءة وتدخلوا في كل صغيرة وكبيرة وفي كل حادثة ليبرروا احتلالهم وليؤيدوا سلطانهم واستعمارهم ، وكان فيه من الاغيار والدخلاء والاعاجم من اتخذوا الكيد للوطن والامة والاستقلال ديدنهم وحرفتهم يتقربون بها الى العدو ليستخدمهم ويطعمهم ويجعلهم بطانة له وآلة لتحريكه وحجة لمدعاه امام عصبة الامم على من ينتقد سياسة الاستعمار والانتداب ، وليخلق من وجودهم أقليات تمرد وتنشق وتطلب الحماية وانشاء وطن قومي كلما اوعز اليهم في ذلك المستعمر الغاصب .

أليست واقعة الارمن في حلب في ٢٨ شباط سنة ١٩١٩ وموقف فرنسا من العرب وما كان من الخصام بين الارمن والمسلمين بعد دليلا على ما ذكرت ، وهل ننسى قيام الدروز والعلويين ومطالبتهم بالانفصال وما كان يعمله الفرنسيون لتحريضهم وفصلهم عن الوطن الام ؟ ! من حرّضهم على ذلك ومن أثار العصابات وبعثها لنهب القرى وسلب المارة والتعدي على المدن والمزارع ، ومن اثار الحملة الشعواء في صحف الغرب على العرب واستقلال بلاد العرب ؟ أليست فرنسا وعمال فرنسا وساسة فرنسا !!؟ .

حكم الامير في سورية سنة وتسعة اشهر ، وماذا فعل رغم المشاكسات والمعاكسات ورغم الحالات المحزنة والاوضاع الشاذة ؟ .

انه لم يأت بالمعجزات ولن يأتي بها ، ولكنه اتى بالممكنات واتى بكل ما يستطيع ان يفعله من كان في محله ومحيطه وأمته ، انه لم يعمل لنفسه وقصوره وملاذه واولاده ، بل

وطد الحكم وانصرف الى عمل الاصلاح في البلاد : احسن الادارة وأمن الامن وانشأ الجيش وجمع المال وأوجد مجلساً نيابياً للتشريع والرقابة وتمثيل رغائب الشعب ، والف حكومة دستورية وأسس المدارس وبدل لغة الدواوين التركية بالعربية وافتتح الجامعة والمدرسة الحربية ورفع مستوى الثقافة والف المجمع العلمي لتقوية العلم واللغة العربية وأباح للجميع حرية الفكر والقول والكتابة وقمع الفتن التي كانت في البادية وانتشرت لضعف سلطان الحكم العثماني واستوفي الضرائب بصورة عادلة ومكن التجار ان يتاجروا باموالهم فربحوا وتحسنت الحالة الاقتصادية وزالت المجاعة التي كانت مخيمة في البلاد .

هذا موجز للعهد الفيصلي ، وليته دام وليت المؤرخين انصفوه ذكراً ووصفاً ،ولكن ما عساي ان اقول وقد قال امام البلاغة وسيد الفصاحة ورجل القوة والحكمة الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

(اذا اقبلت الدنيا على احد اعارته محاسن غيره ، وان ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه) وفي قوله الحق والحقيقة لمن شاء الانصاف .

وقد بقي عليّ ان اذكر العبر المستخرجة من هذا الدور اتماماً لما يجب ان يقال عنه :

(١) ان تأثير الحوادث السياسية في حياة الامم اشبه بالحصاة التي ترميها في اليم ، لاتدري مدى تأثيرها في الماء وتموجاته فدور الاستقلال وما شاهده الشعب من مظاهره وما لمسه من اثاره سوف لا ينمحي من قلوبهم .

(٢) مهما كانت الحوادث فان لكل حادث اثراً عميقاً في نفسية الامم يفعل بها وتنفعل به ، وقد لاتظهر نتائجه اليوم او الغد ، بل قد تكون للاجيال المقبله .

(٣) ان نتائج الفشل قد تذهب بمحاسن العمل ،ولذا لا يجوز قياس الكفاءة والنجاح والحكم عليها الا بمقدار الفرص والجهد وصواب العمل .

(٤) ان عوامل الفشل وان تعددت وتنوعت فهي ضرورية لشحذ الهمة وتقوية العزيمة والاندفاع في الطريق الموصل الى النجاح ، والخطأ صفة ملازمة للبشر ولا يسلم منها

الا خالقه والملائكة المعصومون ونحن علينا التجارب فقد نخطيء وقد نصيب ومالنا الا التروي والاحتياط واحكام التدبير حتى اذا فشلنا ازددنا حذراً وعدة وان أصبنا ونجحنا ازددنا تبصرة وشجاعة واقداماً دون غرور ولا غفلة .

(٥) ان الحماس والغفلة والطفرة كانت غالبة على العاملين الذين يتعملون في الشؤن الوطنية ظناً منهم ان طريق الاستقلال سهل السلوك للوصول الى الغاية منه وقدماً قال احد حكماء العرب (لايغرنك المرتقى وان كان سهلاً اذا كان المنحدر وعراً .

(٦) ان رجال السياسة ورجال الحركة الوطنية كانت تنقصهم الخبرة اللازمة لتسهيل الصعاب ومعالجة القضايا وكان جلهم يعتمد على النظريات وينساق مع العاطفة دون تجربة او خبرة كافية .

(٧) ان العهد الفيصلي كان يحتاج الى يد حازمة بطاشة وقيادة شديدة حديدية ، ووزارة ذات دهاء وكياسة ، ومؤتمر رصين وحكيم سياسي .

(٨) لم يكن لفيصل عصبة يعتمد على عصبيتهم ولا ساسة يثق بسياستهم ، بل جل من والوه وساعدوه كانوا عالة على جيبه وخدمة لمطامعهم ، ولم يك فيهم من تجرد للقضية بايمان ونزاهة وفهم لنفسية الشعب وطبيعة الانقلاب .

(٩) ان من اسباب الفشل الاداري والسياسي فقدان التجانس الفكري والثقافي والاخلاقي بين القائمين في ادارة الحكم وتوجيهه وهذا ما دعا الى ظهور المتناقضات وحدوث الاختلافات في المطاليب وطرق العمل .

(١٠) ان دمشق وهي معلومة الحال في التقلب وشدة الانفعال وغلبة المنافع والمطامع على اهلها وحبهم للاثرة والانانية ، تتحمل اعظم نصيب واكبر مسؤولية في افساد الدور وانحلال العهد وتمكين الاجنبي من وضع اليد ، ولما كانت هي الرأس وان فساده يعم بقية جسم البلاد ، كان الاجنبي يوجه ضربته اليها فلما اصابها وسقطت ، سقطت بقية المدن وانهار صرح الاستقلال .

واذا بحثنا عن العوامل لكل ما بدناه نجدها فيما يأتي :

الاول — كثرة الاحزاب وادعياء الزعامة وكثرة الاغيار وكثرة طلاب الوظائف .

الثاني — تدابر القوى العاملة في الشؤون الوطنية وتباين اهدافها ومقاصدها ،فالنهضة التحريرية والنهضة الإنشائية تعاكسهما الحركة الرجعية القاتلة والحركة التعصبية الدينية والحركة الاقليمية ، والعصبية (العائلية) والطائفية .

الثالث — النزاع بين القديم والجديد

الرابع — مفاسد الحرب الاخلاقية وتأثيرها في مجموع الشعب وخاصته تأثيراً بارزاً وعاماً .

الخامس — العطالة التي تلت الحرب والطغيان في حب الوظائف

السادس — قحط الرجال ذوي الكفاءة العلمية والفنية والادارية

السابع — تألب قوى الاتراك والفرنسيين والصهيونيين والانكليز على محاربة وحدة العرب واستقلال بلدانهم .

الثامن — الاسراف ببذل الاموال والاعتماد على بطانة السوء (وقد اتخذها لتكون خيراً فكانت شراً) .

التاسع — الاستخفاف في قوى العدو والتهاون في تدارك العدة والعدد من الجيش .

العاشر — جهلنا بما كان يدبره الاعداءلنا في الخارج والداخل واهمالنا الدعاية

الحادي عشر — التسرع الى اظهار العداء لفرنسا والصداقة لانكلترة وكلاهما في الهوى على حد سوى .

الثاني عشر — ضعف الروح الوطنية الحقيقية وفقدان التربية السياسية التي منها معرفة الواجب واحترام القانون واطاعة السلطان والتضحية في سبيل المصلحة العامة .

الثالث عشر — اختلاف امراء العرب واشتغالهم بانفسهم عن نصرة القضية العامة العربية .

الرابع عشر — ضعف العرب في ممارسة الحكم الاستقلالي وقلة خبرتهم

السياسية الدولية .

الخامس عشر — تأخر البلاد العربية عن الحضارة والمدنية

السادس عشر — فقدان مجانسة السكان في اوض الوطن، الامر الذي ولد الاختلافات والميول الظاهرة في الاوضاع الطائفية والسياسية والاقليمية .

ولكي تعالج هذه العوامل لابد لنا من زمن ومن ثقافة ومن استقرار وفرص طويلة، ومن رجال يعلمون اعراضنا ويشخصون داءنا ويصفون لنا الدواء ولو كان علقما واذا لم يكن لنا هذا ولم تكن لنا عقيدة وطنية ثابتة وميثاق قومي عملي شامل ولم تسعدنا الاحوال بزعيم تجتمع حوله الكلمة ، ولم نضع لانفسنا برنامجاً للعمل والاصلاح ونسير عليه بارادة وايمان فخلاصنا قد يطول أمده وقد يطول جهادنا وتطول آلامنا وتفنى فوق ما تحتمله القلوب .

وتنويراً للافكار ودفعاً لكل التباس ارى من المفيد ان اذكر الحقيقة الآتية فاقول : ليعلم طلاب النهضة ورجال العمل وقادة الرأي من ابناء هذه الامة ان الحلفاء من انكليز وامريكان وفرنسيين وطليان وغيرهم لم يحاربوا المانيا وتركيا في باطن الامر لتحرير رقاب الشعوب الصغيرة من نير الاستعباد ، بل لبسط السيطرة والخلاص من مزاحمة الالمان واقتسام بلاد جديدة ، وان مدنية القرن العشرين لم تحمل للعالم سلماً وعدلاً وتعاوناً صادقاً بل حملت اليه الحرب القتالة والنار المهلكة والدمار العام ، وحملت ايضاً الموبقات والمؤامرات والمؤتمرات وكلها شباك لصيد الغنيمة واقتسامها وحملت مولوداً جديداً أخرجته للعالم وأسمته (عصبة الامم) وهي مجموعة من ممثلي الدول تقول ولا تفعل وتحكم ولا تنفذ وتوصي ولا تستشير وتقرر للمستعمرين والرأسماليين ما يريدون ، وتفرض على الضعفاء والصغار والمشتكين من الامم مالا يريدون .

وليعلموا ان كل انقلاب كيفما كانت عوامله ونظرياته مفيدة اذا لم تدعمه القوة ولم يؤيده المال لا يدوم، وان مدنية الغرب وان ظن فيها البعض خيراً لا تزال مادية بهيمية يسترها العلم والادب والحضارة وتظهرها الحروب والمعدات المهيأة للتدمير والتقتيل وتهديم المدن وتعبئها على مراميها الحربية ما في الحرب من تهتكات فاضحة وعادات سيئة ومعدات

جهنمية لاشباع الشهوات والغرائز وليعلموا ان الامة ذات التاريخ القديم والدين القيم واللغة السامية والايمان الوطيد ، لا يؤخر يقظتها وتحررها وسيرها في طريق النهضة والتقدم خيبة الجهد الذي تبذله لخلاصها واستقلالها ولا يضعفها تحكم مستعمر او احتلال فاتح ، بل ما يصيبها من هذين يزيدها يقظة وانتباها ويذكي فيها الهمة والنشاط والحماس ويرشدها الى مواطن الضعف واسباب الفشل فتعمد لمعالجته اضطراراً واختياراً حتى يستتب لها الامر وتحصل لها القوة فتعود للنضال والتمرد والخروج على الغاصب فتسترد حقها المغصوب وتملك سلطانها المطلوب .

وليعلموا ان الفكرة العربية اذا لم تعم الاذهان باجمها وتحتل القلوب ، واذا لم يكتسب التيار الوطني من القوة ما يجرف كل من يقف في سبيل الحركة القومية فقد يتأخر يوم الخلاص ، ولكي يقوى التيار المذكور لابد من تفاهم الاقطار العربية وزعمائها على أسس معلومة وعلى ميثاق مشترك وتعاون دائم .

وليعلموا اننا اذا نشدنا الاتحاد العربي أردنا به استقلال كل قطر وخلاصه من الاجنبي كائناً من كان ثم الدفاع المشترك عن كيان المجموع ، والتعاون الثقافي والاقتصادي والاجتماعي كأنه بلدة لاينفصل بعضها عن بعض حد مصطنع أرادته السياسة ، او تجزئة اوجدتها لتقطيع الاوصال واضعاف الامة .

وليعلموا ان نشر العلم والتعليم على اسس القومية والوطنية والاستقلال والغيرة على اللغة والتاريخ واحترام الاباء والاخذ بما في بلاد الغرب من صناعة وعلوم وفنون ، يقضي على الاختلافات الاقليمية والمذهبية التي هي علة فتاكة من عللنا الاجتماعية ، والحق متى قصد لذاته ، والعلم متى طلب لمعرفة الحقيقة ، زال الباطل وزالت الموانع واختفى الفساد والضلال .

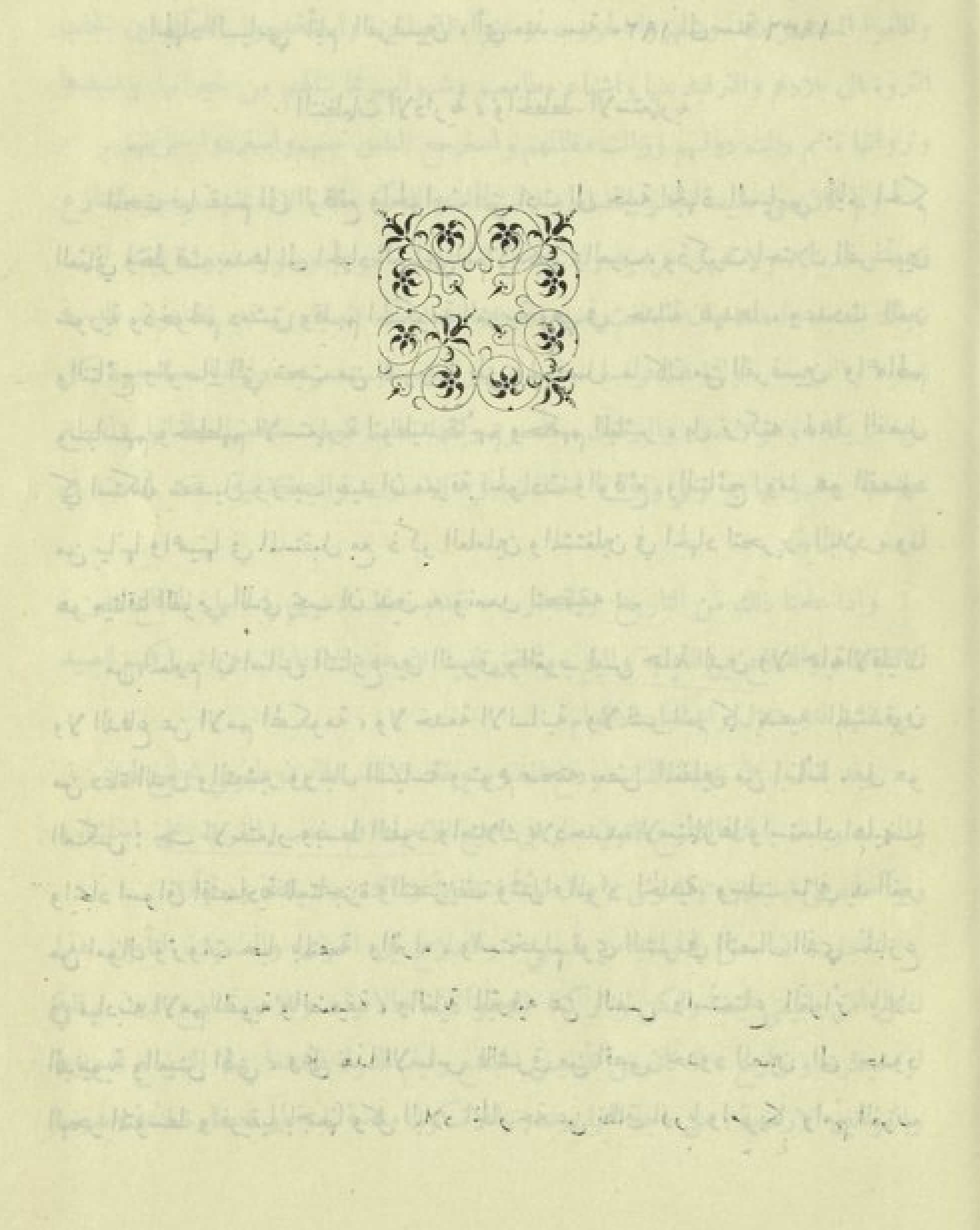
وليعلموا ان الاخذ بأساليب العلم ، والاقتداء بما سارت عليه الامم الناهضة والاقتباس الصحيح من محاسن الامم وتجاربها يعجل بارتقائنا وتقدمنا ، ويضمن نجاحنا وهو سنة طبيعية لا مرد عنها .

هذا قصارى قولي في العبر والنتائج والوصايا ، واعتقادي ان جهادنا سوف يطول وسوف يكلفنا كثيراً من الضحايا ، وسوف يضع الفرنسيون امامنا الصعوبات والعقبات ، وسوف يدسون علينا ويتآمرون لانهم انانيون وعاطفيون ونفعيون ومتلونون ، يعمدون للحيلة والخديعة ، ولا يعمدون للصراحة والاستقامة والعقل : لايؤمن جانبهم ولا يوثق بعهودهم ولا يعتمد على تأكيداتهم واقوالهم ، وهم لم يألفوا التساهل ولا الفوا اعطاء الامم التي حكموها استقلالها برضائهم لانهم يرون انفسهم اصحاب الحق ولا يرون لغيرهم أي حق ، واذا نادوا بالحرية وتفادوا لاجلها فذلك لانفسهم وشأنهم في المعاملات شأن المرأة التي تثني على غيرها ليثني عليها وتتظاهر بالود والغيرة لانانيتها وكبريائها ، انهم اقسى الناس على الضعفاء واشدهم ظلماً لسكان المستعمرات ولمن لا يجانسهم ، وليس لهم في البلاد التي احتلوها ما يدل على حبهم للمدنية والعمران ورفع مستوى الاهلين والمحافظة على مقوماتهم القومية والادبية ، وليس لهم في معاملاتهم ومعاطاتهم ما يدل على نبل الاخلاق وكرم الطباع ومعرفة الحق وتقدير الكرامة ، وليس لهم في سياستهم ما يدل على حب التأسيس والتنظيم والمساعدة لابناء الامة على ترقيتهم واظهار مواهبهم وابراز كفاآتهم .

لهم في تونس والجزائر والبلاد المراكشية ومداغسكر وغيرها مدة تنيف على القرن فلم يعملوا فيها ما يجعلها بلاداً لاهليها مستقلة تتمتع بخيرات العلم والمدنية والحرية كما يدعون وليس فيها عمران اقتصادي وازدهار ثقافي لغير الفرنسيين ، بل كل ما فيها هو للاجانب المهاجرين ولفرنسة المتطفلة التي تمتص دماء السكان لتحيا هي وليموتوا هم ان كان في موتهم حياتها وهناؤها .

وحيث ابتلينا بوجودهم وبجيشهم وبموظفيهم ، وكان من سوء حظنا وسوء حظهم ، فسوف لا نمكنهم من ان يفعلوا بنا ما فعلوه بتلك الاقطار ، وسوف لا نكون لهم مستعمرة ولا فريسة ، ومهما حاولوا استعمارنا واذلالنا فسنقاومهم بما عندنا من ذكاء ونهضة

واتحاد وسلاح وثورات ، وسنجليهم عن بلادنا ونرحلهم عاجلاً عنها فقد قسوا علينا ونكلوا بنا ، والعاقبة للمتقين الصابرين ، وما للظالمين الا الدمار والهلاك وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .



الفصل الثالث

الجهاد السياسي أيام الفرنسيين ، أي منذ سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٣٦

التنظيمات الادارية ، والخطط الاستعمارية

المحت فيما تقدم الى الوقائع والحوادث التي ادت الى خيبة الجهاد السياسي أيام الحكم العثماني وتطرقت بعدها الى الجهاد السياسي ايام الانكليز والعرب، وذكرت احتلال الفرنسيين سورية ودخولهم دمشق وقلبهم الحكومة العربية وهي في حداثة عهدها ، وعددت العبر والنتائج والوصايا التي نتجت من الدور الوطني ولم أفصل ما كان من الفرنسيين واعمالهم وسياستهم وخططهم الاستعمارية لتوطيد بقائهم وحكمهم المباشر ، بل تركته لهذا الفصل كي استكمله بتفصيل وترتيب يفيد ان معرفة الحوادث والوقائع والنتائج وما هو المقصود من بيانها واهميتها في المستقبل مع ذكر العاملين والمشتغلين في الجهاد لتحرير البلاد ، وما هو ميثاقنا القومي الذي يجب ان ندين به ونعمل لتحقيقه ! .

من المعلوم ان اساس التنازع بين الشرق والغرب ليس حماية الدين ولا حماية الاقليات ولا الدفاع عن الامم المحكومة ، ولا خدمة الانسانية ولا نشر العلم كما يدعيه المتشدقون من دعاة الدين والتبشير ورجال السياسة ويتوهم صحته بعض المغفلين من ابنائنا . بل هو العكس : حب الاستعمار وبسط النفوذ وامتلاك بلاد جديدة لاستثمارها واستعباد اهليها وايجاد اسواق اقتصادية للمتاجرة والتصريف وشراء المواد الخامية وسلب ما في يد الغير من اموال وثروات حبا بالمنفعة والثراء ، واستخدام قوى البشر في النضال الذي تتنازع في ميادينه الامم القوية والضعيفة ، والغاية الترفيه عن النفس واستمتاع الغرائز بالملاذ الدنيوية والعيش الهني ، وعلى هذا الاساس فالشرق من اقصى حدود الصين الى حدود البحر المتوسط وافريقيا باجمعها وكل البلاد الخارجة عن نطاق اوربا وامريكا وامم الغرب

هي موضوع هذا التنازع القديم والجديد .

وقد سبق هذه الامم الى ذلك امم اليونان ، والرومان ، والفرس ، والمصريون ، والفينيقيون ، والبابليون فدوخوا ممالك الارض وامم العالم القديم واستعبدوا الاقوام واقاموا المستعمرات وشهروا الحروب وسنوا القوانين واستخدموا المحكومين لجلب الثروة الى بلادهم والترفيه عنها واشباع مطامعهم وشهواتهم مما ينالهم من خيراتها وعبيدها وثرواتها ، ثم دالت دولهم وزالت مظالمهم واسترجع الناس حقهم واستردوا حريتهم .

ولما كان من طبيعة البشر التسلط والاستبداد والتحكم ، فاننا لانستغرب وجود التنازع قديماً وحديثاً ، ولا نجهل مراميه ونتائجه على اختلاف وجوهه وصوره ، واذا ايقنا ان شباك الصيد واحدة وان اختلفت صورها فلا نشك بان الصيادين قد يختلفون بالنسبة للصيد والفريسة ، ولذا فان فرنسا مستعمرة ، وانكلترة مستعمرة ، والمانيا مستعمرة وكل من امريكا ، وهولانده ، والبرتغال مستعمرة وكلها تطلب الصيد لمنفعتها ولذاتها واشباع مطامعها وشهواتها ، وهي وان اختلفت في الاسلوب والكيفية فقد اتفقت في الهدف والغاية .

واذا علمنا ذلك من التاريخ والتجارب ، فقد سقطت دعوى ابنائها الدفاع عن الاقليات ، والدفاع عن المدنية والعلم ، وتحقق لدينا ان هذه الادعاءات هي شراكهم للصيد ووسائلهم للاحتلال واستعباد الاقوام .

وقد يقال : ان حفظ الذات ودفع الضرر وبقاء الانسب قانون طبيعي يخضع له الشرق والغرب ويقال : بان التنازع قانون سار في جميع الاحياء فلم نعيب الغرب على استئثاره ونوآخذه على استعماره والشرق لايزال نائماً وخاملاً وذاك يزداد يقظة ورقياً ؟ .

أجل ! ان حق الحياة امر طبيعي ، والتنازع بين القوى والضعيف لتأمين هذا الحق امر طبيعي ايضاً ولكن لو تركنا الحيوانات والافراد وللامم تتنازع دون رقابة او سيطرة او وازع ، لما كان من تأسيس المجتمع وقيام الدولة فائدةما . ولا الشرائع السماوية والقوانين الارضية ؟ من حاجة اليها ، وبدونها لاتكون مدنية ثابتة او حضارة قائمة وبدونها

تفعل الحيوانية والبهيمية ماتشاء بحكم الغرائز والمطامع .

ان التنازع بين الامم من جهة الحقوق الاجتماعية والدولية لامبرر له واذا اردنا بقاء المدنية والحضارة وأردنا الاقتصاد بجهد العقول فيما تنتجه من صناعات وعمران وثقافة ، فعلى الامم ان تتعاون وتتآلف وتتعاضد لتقوية الضعيف ومساعدته والاخذ بيده ليكون صالحاً للبقاء ، والتعاون ، والانتاج .

وعليها تقييد القوى ضمن حدود المصلحة العامة ، فلا يعتدي على غيره ولا ينساق بغرائزه ومطامعه ، اليس هذا هو الجاري بين الافراد في الدولة الواحدة ذات السلطان والحكومة والمحاكم والقوى الوازعة ؟ فلماذا لايكون بين الامم كذلك !؟ .

ولو عاملنا الغربيون بهذا الاعتبار لوجدوا النفع من ورائه ؟ واقتصدوا بارواح البشر واموال العباد ؟! .

ان اعطاء الفرصة للضعيف حتى يقوى ويصلح شأنه ، ووضع الحد للقوى حتى يتساوى وغيره في الحقوق هي فلسفة الاجتماع والدواء الحق لازالة ما ينتاب البشرية من بلاء التنازع وامراض الحروب .

واذا انكرنا حق الحياة وتمادينا في التنازع والخصام وحدنا عن القانون العام القائل : (عش واترك لغيرك مجالاً ان يعيش) واتبعنا الغرائز التي لا تعرف غير الطمع والشر والسلب والفتك بمن لايخضع لآمالنا ومطامعنا ، وساقتنا الى الحرب دون وعي ولا رشاد ، فلا فائدة من تعاليم الاديان ومن نشر المبادئ الانسانية والتبشير بالسلام والمدنية ، لانها تعد تدجيلا واستهواء للضعيف وتخديراً لمن يستطيع الدفاع حتى ينام على الاحلام والثقة .

هذا من جهة من يدعي حق التغلب والاستعمار ، واما من جهة من يدعي حق الحياة فيلزمه الدفاع والاعداد والجهاد المستمر حتى لا يغدو فريسة المطامع ، وحتى يستقر المبدأ الانساني بين الامم ويتواضع العالم على طريقة تضمن مصالح الجميع وتكفل صيانة حقوق الشعوب عندما يقع الاختلاف بينها فلا يلجأ القوى الى السلاح ولا يتخذ الطامع الحرب ذريعة للوصول الى آماله .

ومعنى هذا ان على الامة العربية ان تتعلم وتعمل وتتسلح بكل القوى والوسائل التي يتسلح بها الغربيون ، وان تعرف معنى الحق الذي يدعونه والحماية التي يبشرون بها وان تتبع اساليب العلم والفن في كل مشروع تتخذه وكل قيام يفرضه عليها الزمن وتفرضه الحاجة، فاذا استعدت وتعلمت وحزمت وثبتت ، وعرف كل فرد من رجالاتها واحرارها وزعمائها ان المصلحة الوطنية لا يهتم بها الغربي وان الاستعمار كان ولا زال مطية لاحتكار موارد الثروة واستنزاف قوى المستعمر ، عاشت مصونة وانتصرت قضيتها واتبعت القاعدة الخالدة (لا يفل الحديد الا الحديد) والمبدأ القائل : (الحرب اتقى لحرب) .

ولعمري لو كان للعرب الفهم الكافي والعلم الوافي بما عليه الغربيون وما يضمره ساستهم وعرفوا الطرق التي عبدتها الامم ، لنهضتها وكيف يستعمر المستعمرون بلاد الشرق وامه ، وكيف يبثون دعاياتهم لستر مقاصدهم وخططهم ، لحذروهم وتيقظوا من عطفهم وموالاتهم ، ولكنهم احسنوا الظن بمن فاوضوهم في امرهم وكانوا (ثعالب او ثعابين) في ثوب المخلصين فاوقعوهم في الخطأ وخدعوهم بالاقوال والمواعيد ، وكان اول خطأ ارتكبه اخواننا الاحرار عقدهم المؤتمر في عاصمة الفرنسيين (باريس) وفي الاعتماد على صداقتهم وما اظهرته حكومة فرنسا من عطف وموالاة ، والثاني اكتفاؤهم بتصريحات ممثل انكلترة في القاهرة (السير مكماهون) ومراسلاته التحريرية وما حوته من ابهام وغموض ووعود معلقة .

ولعل للرجال الذين تولوا العمل عذراً بانهم لم يشتغلوا بالسياسة الدولية ولا خبروا دهاء الانكليز وحيلهم ، ولا طبائع الفرنسيين ومداوراتهم وتقلباتهم ، ولذا وجدنا الانكليز قد اتفقوا مع الصهيونيين ومع الفرنسيين خلافاً لما اتفقوا عليه مع الملك حسين الهاشمي الذي وثق بهم وبحسن نياتهم ، فكافأوه بتقويض عرشه وسجنه في قبرص ، ووجدنا الفرنسيين قد تركوا اوراق معتمدهم في دمشق اثناء الحرب العامة يوم غادر سورية فتقع بايدي السفاح جمال باشا ويطلع على ما فيها من اسماء احرار سورية ومكاتباتهم فيأمر

بمحاكمهم وشنقهم ، ويخونوننا بعد الحرب وبعد الهدنة ، وبعد اتفاقهم مع (فيصل) ويعاملوننا معاملة العدو لعدوه .

هل نتعظ ؟ وهل نتمادى في تغافلنا واستسلامنا ؟! وهلا نعتمد على انفسنا ونشق طريقنا بايدينا ، وهلا نتدبر الامر قبل وقوعه ؟!.

ان المؤمن لايلدغ من جحر مرتين ، فلنتجنب الخطأ مرة ثانية ، ولنحذر دول الاستعمار لانها كلها في الشر والمطامع سواء .

ولا يغيب عن اذهاننا ان فرنسا ادعت الوصاية بالرغم عن ارادتنا وبالكره منا وقصدها استعمارنا والحكم المباشر في بلادنا، انها تريد ان تحكمنا كما حكمت الجزائر وتونس ومراكش وسواها من المستعمرات ، وانها تعتبر سورية بلاداً تابعة لها وتؤيد دعواها بانها اشتغلت لاجلها منذ قرن ونصف وبذلت في سبيلها مليارين ونصف من الفرنكات ، وانها ارسلت البعثات التبشيرية وفتحت المدارس والمستشفيات الاكليريكية وفاقا لتقاليدها اي لحماية الكنيسة وتأمين نفوذها وأنها أمدت المسيحيين بالمال والمساعدات لتبرهن لهم على عطفها وحسن نياتها ؛ وانها حمت مصالحهم ودافعت عنهم في حرب الستين اجابة لانسانيتها ، وانها تدخلت في سياسة الدولة العثمانية باسم أوربا وباسم الاقليات لتحفظهم وتحفظ حقوقهم وانها عملت ما عملت لتحتفظ بهذه التقاليد في الشرق ولتكون الام البارة صاحبة الحق باحتلال سوربة وتمدين اهلها . وها هي الفرصة قد سنحت لها فلماذا لاتبقى في سورية ؟ ولماذا يكرهها المسلمون ولا يثقون بها ؟ ولماذا يقاومها فيصل وحكومته ويسيئون الظن بها ؟ انها جاءت للبقاء وجاءت للوصاية فلابد من تنفيذها !!!بهذا المنطق تؤيد دعواها ، وبهذه السياسة : (هكذا اريد فيجب ان تريد) تسير في اعمالها تسندها الجيوش ويقويها المال ويسالمها الزمن وتساعدها الدول المتطاحنة ويؤيدها الانصار الذين خلقتهم شيعا واحزابا ليكونوا عوناً لها ولا نسميهم فالتاريخ هو الكفيل بترجمتهم وسرد احوالهم واعمالهم ولا يظلم احدا .

اولئك الذين كانوا يهيئون لها المضابط بقبول انتدابها ويعملون على ترويج دعاياتها.

وكان من اعمالها ان اغرت جماعة البدو والعمال فاعطت مشايخهم الاموال ووهبتهم العطايا وسلحتهم وفتحت المستوصفات ودعت الفقراء بواسطة دعاتها الى مراجعة اطبائها فيأخذون ما يلزمهم ويعالجون مجاناً ، وبعثت العصابات تعيث في لبنان وسورية وسواحلها فساداً ينهب القرى ، واضعاف الحكومة العربية وشل يدها ، ونشرت الدعايات الطائفية لتثير روح التعصب والتباغض حتى يتفرق السكان الآمنون وتقع الحوادث والمذابح وتتخذها حجة لوجودها ، وقد حدث ما ارادت ففي اسكندرون تنازع فريقان فضربت بيوت المسلمين بالمدافع لانهم كانوا بجانب الحكومة ، واباحت للارمن ان ينهبوها فنهبوها وفي طرابلس الشام كانت الجنود المتطوعة الفرنسية تشتم العرب وكل من آزر الحركة العربية ، وفي طرطوس شجعت بعض المسيحيين على اخذ جامع قديم كان كنيسة ايام الفتح الاسلامي ، فهاج المسلمون وكاد يحصل مالا يحمد ولولا ان خافت العاقبة وامرت الحكومة المحلية باغلاق الجامع ومنع الطائفتين من دخوله لكان لها ما أرادت .

وفي بيروت حرضت سكان حي الجميزة وهم مسيحيون على سكان حي البسطة وهم مسلمون فبدأ الاولون يشتمون اخوانهم يوم عيدهم ، ولكن المسلمين تعقلوا وصبروا خلافاً لما املت فرنسا فلم يحدث شيء يحرض على القتال ويهرق الدماء ، ثم انها اوعزت الى الجرائد اللبنانية الاكليرية ان تنشر مقالات شديدة اللهجة تطعن بالوحدة العربية وتخوف الرأي العام المسيحي من الاتحاد العربي وتطالب بوطن قومي للمسيحيين ، وقامت بوسائل اخرى مهرت بها منذ القديم وعمدت الى استمالة الناس وشراء رضائهم بالمال والرشوة ، وبثت العيون للتجسس في كل بلدة وقرية وناد وعهدت الى بعض الرجال بان تسرق الاوراق الرسمية والوثائق ووصلت يده الى سرقة الخرائط الحربية وما كان في صندوق (الاركان الحربية) في حلب من الاوراق كما سرقت مذكرات فيصل ومقررات الجيش في دمشق ، وحشدت الجنود في لبنان خفية للانتقام ، وقلبت الحكومة الفيصلية واحتلت المدن الداخلية ، ودخلت العاصمة في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠ بجيش لايقل عن السبعين الفاً على رأسه الجنرال (غورو) الجزويتي المستعمر والكاثوليكي المتعصب ، تساعدهم ثلاثون طائرة

حربية واربعون دبابة ومئات المدافع الضخمة والسيارات المسلحة والقذائف الجهنمية ، ولم يكن امامها يوم دخلت عساكرها غير (٦٠٠) جندي عربي .

ولما دخل الجيش الفرنسي دمشق اعلن (غورو) الادارة العرفية واخرج فيصل ووزراءه وعماله ، فخلاله الجو والف الحكومة من عز الدين الدروبي للرئاسة والشؤون الخارجية وعبد الرحمن اليوسف لرئاسة مجلس الشورى وجميل الالشي للحربية ، وعطاء الايوبي للداخلية ، وفارس الخوري للمالية ، وجلال زهدي للعدلية وبديع المؤيد للمعارف ويوسف الحكيم للتجارة والزراعة والاشغال العامة .

ثم قتل الدروبي ، وعبد الرحمن اليوسف في حادثة خربة الغزالة على اثر نشوب حركة ثورية في حوران فألف وزارة ثانية برئاسة جميل الالشي وعطاء الايوبي ، وحقي العظم ، وحمدي النصر وبديع المؤيد وكرد على وشاكر القيم وبعد ازمة دامت اسبوعين فصل حلب عن العاصمة وجعلها مستقلة والف منها دولة رأسها كامل باشا القدسي ، واعلن استقلال بلاد اللاذقية وجعل منها دولة يحكمها الكولونيل (نيجار) ومنح منطقة جبل الدروز ادارة مستقلة وولى عليها حاكما فرنسياً اسمه (كاربيه) مشهور بالشدة والبطش والظلم وهو القائل للمسيحيين عند دخول الثوار دمشق : (اين انتم يا نصارى ، اليوم يومكم) وضخم لبنان الصغير (على حساب سورية) فاقتطع منها خمسة اقضية والحقها به وضبط ما في الخزينة من اموال ووضع يده على الجمارك وجبى مواردها واموالها ، تمشيات اهواء الاستعمار واحتفظت فرنسا لنفسها بحق الاشراف على الادارة والتشريع وحق منح الامتيازات وعقد (الاتفاقيات) والمعاهدات ، وحكمت على المثيرين والخارجين على سياستها والمتمردين على سلطانها بالقتل ، وزجت بالسجون من وقع في ايدي سلطتها من الوطنيين وحرمت العودة على الذين اخرجوا من ديارهم وعطلت الصحف الناقة وجعلت المفوض السامي حاكما بامره يجمع جميع السلطات بيده ويعين مستشاريه وموظفيه ويتصرف بادارة البلاد وفاقا لمصلحة دولته ، ويتبع سياسة (فرق تسد) حتى لاتقوم لطلاب الاستقلال قائمة ويناهض الحركة الاستقلالية والحركة العربية بالقوة ويكم الافواه ويخلق الطائفية

والنعرات القومية العنصرية ويحمي الاقليات المذهبية ويساعد بعض المقاطعات على الانفصال لاضعاف الوحدة ، ويجعل كلاً منها دولة ويضع بجانب كل حاكم ومدير وقائممقام مستشاراً يأمر وينفذ من وراء ستار ، ويضع ضباط الاستخبارات في الاقضية والمدن ليتجسسوا ويشرفوا ويتدخلوا ويقاوموا ذوي الزعامة والوجاهة ويهددوا المناوئين وهم مقيدون رأساً بأوامر المندوب السامي ، وبذلك تمتد شبكة الانتداب ويتقوى سلطانه وتصبح الحكومات المحلية آلة مسخرة بيد السلطة الفرنسية ويصبح المفوض السامي الذي يمثلها ملكاً غير متوج .

وكان من متممات سياسة الفتح والاستعمار ان جعل (غورو) ومن اتى بعده لكل دولة ميزانية خاصة وعين لها (اي للدولة) مجلساً استشاريا اعطاه حق تصديق الواردات والنفقات ورفع المتمنيات اليه حتى لايقال ان فرنسا استبدت بأموال سورية ولبنان وصرفتها بدون ارادة الشعب واطلاعه .

هذا ما كان من امر فرنسا وما اجرته بعد خروج فيصل ، وهذا مجمل سياستها التي سوف تستمر عليها وسنرى عواقبها ونحن لها من المقاومين وعليها من المساورين .

وبعد ان عمل غورو ما عمل ولم يبق امامه سوى تنفيذ ما رسمته السلطة الفرنسية من الخطط والتدابير اصدر اوامره السريعة بتنظيم الادارة واصدار القرارات ليعطيها الصفة الشرعية وكان يساعده (المسيو روبه ردوكه) وهو رجل استعماري مرن قلمه في جريدة (الطان) وكان موظفاً في وزارة الخارجية ثم جيء به الى سورية لتنظيم شؤونها وفقاً للتعاليم الواردة اليه .

وكان (غورو) رجلا عسكرياً شديد الوطأة على العرب عامة وعلى المسلمين خاصة ، لايحلو له ان يرى اي حركة تصدر عن اهل البلاد ترمي تنظيم الصفوف او المطالبة بالحقوق وكان همه الاكبر تقوية الكثلكة لايجاد التوازن والظهور بمظهر المسيحي المتعصب ليكون له في قلوب المسيحيين المكان المحفوظ والحب الدائم ، واثباتا لمظهره وتأييداً لما يجول في نفسه اعلن قائلا في محضر من اعيان المسيحيين في لبنان وامام رؤسائهم : (ايها الناس ،

اننا جئنا لنتمم عمل الصليبيين) ، وكان كلما زار المدن عرض الجيوش ليوهم الناس ان دولته لا تغلب وان لها القوة والبأس ولديها العتاد والجنود لمحاربة كل من تسول له نفسه الانقضاض عليها .

وصرف في سبيل ذلك وفي مدة وجوده قائداً ومفوضاً سامياً من اموال الدولة واموال البلاد بدون عد وحد وقد ذهب اكثره الى جيوب الضباط العسكريين والموظفين الملكيين باسم نفقات مستورة وهبات واكراميات للعشائر والوجوه وباسم نفقات لقمع الثورات وتأسيس الثكنات وشق الطرق الحربية واعانات لمدارس الكاثوليك واديرتهم ومؤسساتهم ورؤسائهم .

ولما كان الانتداب لايجوز ان يأخذ شكلا استعماريا على رأي (عصبة الامم ...) ولا ان يدار بسلطة عسكرية ، ونظراً لتوالي الشكايات من العرب والمسلمين من اعمال (غورو !) والاخطاء التي ارتكبها فقد عزلته دولته عن منصبه بعد مضي خمس سنين واستبدلت الجنرال (ويغاند) به وقد سار الخلف سير سلفه ، ولكنه ازال اسم الدولة عن حلب وربطها بدمشق والف دولة الاتحاد السوري وجعل رأسها صبحي بركات التركي تلميذ اليسوعيين ، ثم عقبه ساراي وهو قائد عسكري وصاحب الثورة ، ثم عزل وجاء مكانه المسيو (ده جوفنيل) ، جاء والثورة (لما تنته) في ٢ كانون الاول ١٩٢٥ ، وسافر قبل ان تضع الحرب اوزارها في ١٧ ايار ١٩٢٦ ، واستقال مرجعه الخدمة في سورية ولم يعد اليها .

ومما يذكر من الاعمال خلال هذه المدة ان السلطات العسكرية كانت تشيد الابنية والثكنات للجيوش وتقيم الاستحكامات في كل مكان وتنصب البيوت الخشبية لايواء الجنود وتجلب المعدات اللازمة من مدافع واسلحة وغيرها ، كأن فرنسا ستبقى في سورية ابد الآبدين ، لاتخرج منها ولا تتخلى عنها .

وفي ٢ حزيران ١٩٢٤ صدر الامر بتأليف مجلس اتحادي فتبدلت الادارة العسكرية وحل محلها ادارة مدنية ، ولكن اعمال السلطة الفرنسية لم تتبدل لا بروحها ولا بأساليبها

بل استمرت تعمل بما توحي اليها مصلحتها الاستعمارية فجبت الاموال الباقية في ذمم الناس بحد الحراب كرها واجباراً ومنحت المصرف الفرنسي حق اصدار الاوراق النقدية وعرضها في الاسواق للتعامل واجبرت الحكومة على تداولها وايداع اموالها فيه ومنحت عدة شركات فرنسية اقتصادية امتيازات باستثمار المرافق والمعادن وتشغيل اموالها كالمصرف العقاري التونسي وشركة المشاريع الفرنسية وشركة الماء والكهرباء والجر بحلب وشركة المرافئ، وعقدت مع اصحابها (مقاولات واتفاقيات) باسم سورية كلها مجحفة بحقوق البلاد ووضعت يدها على الاوقاف الاسلامية جاعلة مرجعها الاعلى في كافة شؤونها مستشاراً فرنسياً وعلى رأس ادارتها رجلا انتدابياً مسلماً من اهالي طرابلس الشام ثم اوجدت المحاكم المختلطة لرؤية دعاوي الاجانب وصيانة حقوقهم والفت لنفسها دوائر رسمية للسياسة والاقتصاد والتعليم والمالية والآثار والادارة والامن العام والري والزراعة وغيرها، كأنها وزارات تستعين بها على الاشراف والمراقبة، وملأتها بموظفين فرنسيين جلبتهم من مستعمراتها وبكتبة وتراجمة من الارمن والمسيحيين اغدقت عليهم الرواتب الضخمة ومنحتهم السيارات الانيقة لسيرهم ونزهاتهم ...ومن المضحك ان تظننا بسطاء لاندري ما وراء هذه التنظيمات والترتيبات الشبيهة بممثلي الروايات الذين يبنون القصور والحدائق على المسارح ليلعبوا ادوارهم، ويستخدمون لها اللاعبين الماهرين، ومن المضحك (وشر البلية ما يضحك) اعتمادها على (المضابط) التي ترفع اليها في كل طلب للتأييد أو لاي شأن من الشؤون لتتخذها حجة لتنفيذ ما تريد واعتمادها على المجالس التمثيلية التي البستها صورة شرعية للتمنيات والتصويت والموافقة على مشروعاتها وانتدابها .

ومن المضحك ان تعاملنا بضروب القساوة والظلم والامتهان وتطلب منا السكوت، كأننا بهم لايحق لنا الانتقاد، ومن المضحك ان تتلون سياستها كالحرباء فتارة اكليريكية وتارة لادينية واخرى اسلامية وكلها من حيث النتيجة واحدة، ونحن عالمون انها واحدة (استعمار، واستعباد) .

وبعد، فقد رأيت ماهية (الانتداب)، ورأيت كيف بدلت فرنسة اربعة مفوضين

سامين ثلاثة منهم عسكريون وواحد منهم مدني وسياستها لم تتبدل ، ورأيت كيف ان الاول وهو (غورو) كان عسكريا ، اكليريكيا ، استعماريا وضع اساس التفرقة والتجزئة وقضى على العهد الوطني والدور العربي واقصى فيصلا واضطهد الاحرار وسجن المخلصين ونكل بالثائرين ، والثاني وهو الجنرال (ويغاند) كان عسكريا ومستعمراً واكليريكيا ، وضع اساس الاتحاد السوري والمجالس الاتحادية وعين صبحي بركات ثم فصل اللاذقية وجبل الدروز عن امها دمشق والشهباء ، لان الآباء السود ، والرأسماليين والكبوشيين الآباء البيض ارادوا ان يكون الامر كذلك فكان وهو متطوع لخدمتهم ومؤمن برسالتهم. والثالث وهو الجنرال (ساراي) كان عسكريا استعماريا لادينيا ، اراد اصلاح اخطاء من سبقه ومنح الشعب حرية العمل وحرية تأليف الاحزاب ، ولكنه اخطأ في فهم حقيقة سورية والسوريين وفي اعتقاده بصلاح صبحي بركات رئيس الدولة واخلاصه له وبمقدرته على ادارة الامور فساعده على تصرفاته الشاذة وقوى مركزه فكان سبباً في خيبة مساعيه ، ولما اراد الجنرال جعل سياسة حكومته علمانية لاتخص طائفة دون طائفة قاومه الاكليروس وشن عليه حملة شعواء شديدة الوطأة اثرت بموقفه وسمعته ، ولو انه لم يخب في ادارة سورية وجبل الدروز ، ولو لم يستبد برأيه ويعتمد على من كان حوله من بقايا اسلافه واغلبهم خونة عليه لا له ، ولو لم يساعد ممثله (الكابتين كاربيه) في جبل الدروز وهو رجل فاسد الاخلاق وظالم في تصرفاته لما تمكن الاكليريكيون من اثارة الرأي عليه ومن عزله .

انه اخفق في السياسة مع المستعمرين الفرنسيين واخفق مع الجهتين : السورية والاكليريكية ، واشتد على الاحرار وظن بهم السوء ، وحمل الدروز والسوريين على ما لا خير فيه فقاموه وثار لممثله الكابتين كاربيه فهاج عليه الاهلين ، وجرد حملة عسكرية على الجبل ليؤدب سكانه الذين تمردوا وتمرد بعدهم السوريون واشعلوا نار الثورة فأخفق وانكسر هو وجنوده وحملته ، وباءوا جميعاً بالخسران .

لقد كان ساراي مجموعة متناقضات : حر الفكر من جهة يريد مساعدة السوريين

على التحرر وتنظيم شؤونهم ، ومن جهة ثانية كان مستبداً لا يذعن لناصح ولا يتحرى عن عاقل مخلص فلم يصب برأيه ولا استطاع فهم ما يجب فهمه لتنفيذ عقيدته ، ولعله اضطر الى السير بروح مستبده لان جماعة المفوضية وموظفيها عرقلوا مساعيه ، وضللوا بصيرته وافسدوا تدابيره وتآمروا عليه مع جماعة الجبة السوداء اذ قاوم مطامعهم واهواءهم ، وعزل دوريفي سكرتير المفوضيه وكان من زمرتهم ومن الفرنسيين المرتكبين ، ولو صادقه الحظ ووجد من يخلص له ويركن الى تدبيره ورأيه لكان له شأن آخر .

ومن متناقضاته الغريبة انه اباح للوفود ان تأتيه من كل فج عميق وان ترفع ظلامة البلاد اليه فجارته وشكت اليه ما تلقاه السكان من سياسة الانتداب ومن عمال السلطة الفرنسية وعرضت عليه مطاليبها ورجت منه ان يساعدها على ازالة الشكوى وعلى تحقيق آمالها التي لخصتها بالمواد الآتية :

١ — الدعوة الى جمعية تأسيسية تضع دستوراً للبلاد يعرب عن رغباتها ويضمن حقوقها ومصالحها ويبين نسق الادارة الذي يوافقها .

٢ — تأليف حكومة نيابية وفاقا للدستور المذكور .

٣ — احداث جيش يتولى الدفاع عن البلاد .

٤ — ايقاف الهجرة الى البلاد ومنها .

٥ — الغاء المحاكم الاجنبية .

٦ — ترك حق التشريع وسن القوانين للمجلس النيابي .

٧ — اصدار عفو عام عن المسجونين والمبعدين السياسيين .

٨ — اعادة الحرية السياسية للشعب .

٩ — اعادة الاقضية الاربع الى سورية وهي التي فصلت عنها والحقت بلبنان .

١٠ — اعلان الوحدة السورية وترك الحرية لسكان الدول المجزأة ان تقول كلمتها وتنتخب ممثليها .

وقد سمعها باصغاء وناقشهم فيها ولما اجابوه على ملاحظاته وانتقاداته لم يشأ ان يقر للوفود

بما اقترحته بل قال وقد اعيته الحيلة ولزمته الحجة (انكم قاصرون والقاصر لايحق له وضع الدستور ونحن اوصياء عليكم وسنعمل على ايصالكم الى الاستقلال .

وكان من اقواله العجيبة (اذهبوا ونظموا صفوفكم فأني ابحث لكم الحرية) واي حرية يعني ؟ وهل صدق بما قال ؟ وهل كانت فرنسة معه لتحقيق ما تطلبه الحرية ؟ كلا !؟ عادت الوفود ، وتألف (حزب الشعب) ، وجمع كلمة الاحزاب ووجه الامة الى المطالبة بحقوقها وتنفيذ ميثاقها فما كان منه الا ان امر باغلاق مراكز الحزب وسجن اعضائه الذين فر قسم منهم خوفا من بطشه وطيشه ، واغلاق جمعية (حقوق الانسان) وقد كنت رئيسها في حلب ، ولما زاد طغيانه وطغيان الحكومة التي سندها بقوته وتأييده شبت نار الثورة في سورية وجبل الدروز وعمت معظم تلك الجهات . الغوطة ، والقلمون والنبك ، وسواها .

انه لم يصدق الوفود ولم يشأ ان يصدق تقاريرها بل صدق رجاله العسكريين ، وصدق صبحي بركات ذلك الرجل الاناني الاهوج ، الذي اراد ان ينتقم من معارضيه وناقديه فاتهمهم بانهم من الثوار وراح يعمل على التنكيل بهم وكان من مقترحاته شنقهم لاخماد نار الثورة ، على ان الجنرال ساراي كان اعقل من ابن بركات فلم يقبل ما اشار به صاحبه ولكن لما ضايقه الثوار في دمشق وهاجموه في قعر داره (دار الاثار) وغلب عليه حمقه فلم يحجم عن ضرب دمشق بالمدافع الثقيلة مدة اثنتي عشرة ساعة فقتل الاف النفوس البريئة وهدم البيوت والمحال الاثرية واحرق الدكاكين والحمامات والجوامع كأن تلك المحلات كانت اصطبلات للحيوانات او زرائب الخنازير ولم تكن مأوى الاطفال والامهات والشيوخ ، والرجال ، ولا وبيوت العبادة ، واماكن الرزق والعمل ،طاش عقله وطار لبه فأزدادت نقمته واستفحلت الثورة وامتد لهيبها الى حمص وحماه وما جوارها وكما امر بضرب دمشق امر بضرب حماه وحمص فخرب البيوت والمحال واسال دماء الابرياء والهادئين من السكان ولما يئست السلطة الفرنسية من اخماد الثورة امرت بعزله فذهب غير مأسوف عليه واستخلفت (المفوض الرابع) المسيو ده جوفنيل احد اعضاء

المجلس النيابي الفرنسي ومن خطبائه المشهورين وكان من رجال السلك السياسي علمانياً وحيادياً فاعاد المياه الى مجاريها بالتدابير التي اتخذها وبالبيانات التي اذاعها على السوريين مخاطباً اياهم بانه رجل يريد السلم لمن يطلب السلم وباتصالاته بالاحرار السوريين الذين اقاموا في مصر هاربين من اضطهاد الفرنسيين ومظالمهم وبقادة الثورة في جبل الدروز والاتفاق معهم على انهاء الثورة واعطاء البلاد حقوقها وما تصبوا اليه من سيادة واستقلال.

ولكي يعجل بحل القضية اخلى سبيل المسجونين السياسيين (وكنت منهم) ، واعلن الحرية لمن يريد العودة من الفارين ، ورجع عن رأيه في فصل حلب عن دمشق تهديداً للثوار ، وكان جرب ان يأخذ من المجلس التمثيلي الذي دعاه للانتخابات وقاطعناه نحن والشعب الحلبي ، قراراً بالفصل فلم يفلح وخاب امله ، وقرر خلافاً لما اراده ، وعزل صبحي بركات وحكومته وعين الداماد رئيساً للحكومة واعلن في ٢ كانون الاول ١٩٢٦ في خطبة له القاها في بيروت قائلا : (ان الانتداب كما يفهمه هو وتفهمه العصبة معناه النصح والارشاد وانه جاء للعمل بما عهد الى الجمهورية الفرنسية ان تؤدي الواجبات بهذه الروح مع مزج الفلسفة العربية بالفلسفة الغربية وان الاصلاحات التي تؤول الى تحقيق مطاليب الوطنيين لا يمكن تنفيذها الا بعد ترك السلاح والحرب وانه يعطي البلاد الدستور الاساسي على ان ينتخب كل لواء مجلسه ويقرر مصيره وارتباطه السياسي وانه لن يغير في الحدود المقررة ولا يسمح للقوى ان يتغلب على الضعيف) وكان في كلامه يريد المداورة السياسية ويقصد تقسيم البلاد وحمل كل لواء على تعيين مصيره اي على الانفصال بواسطة عماله وانصاره المأجورين ويريد البت في ما اقتطعته السلطة الفرنسية من الاقضية السورية وابقائها لبنان ، ويريد ان يقول للاقليات انني سأساعدكم فكونوا معي ، ثم استمر يعمل لتنفيذ خطته ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ الخيبة وتفاقم الامر ، وذهابه الى فرنسه ، وبقاء الانتداب يتصرف في مقدرات البلاد ، وبقاء التذمر ، والمقاومة ، والثورة كما بينته في موضعه.

وخلاصـــة ما تقدم ان الفرنسيين لم يعتبروا بالحوادث ، ولم تتبدل

سياستهم ، ولم يحسنوا التصرف في اعمالهم وافعالهم ، ولم يعملوا ما يتفق واماني البلاد ومطاليبها ولم يكن هدفهم من الانتداب الا الاستعمار الذي جربوه في شمالي افريقيا حتى اليوم ، فهم هم ما دمنا نحن ضعفاء ، وماداموا هم اقوياء تعاكسنا الاحوال وتواليهم الاقدار.

اما ما كان من نتائج وجودهم واعمالهم في سورية ، فاليك المواد ملخصة تحوي الواقع وتصف الحال والاضرار :

(١) — اضاعتهم ثروة لا تقل عن (٥٠) مليونا ليرة ذهباً ، خسرتها الامة بسوء ادارتهم وافسادهم ووجود شركاتهم وورقهم النقدي .

(٢) — قتلهم مالا يقل عن (٢٧٠٠٠) الف نفس بريئة ذهبت ضحية عسفهم وظلمهم ونيرانهم .

(٣) — هدرهم الواردات التي اخذوها من الجمارك والمصالح المشتركة بانفاقها في محاربة السكان واشباع مطامع رجالاتهم وموظفيهم واملاء جيوبهم .

(٤) — تأخيرهم البلاد عن تقدمها وازدهار صناعتها وعمرانها وحرمانها الحرية والاستقلال .

(٥) — اضعافهم المقومات القومية وسعيهم لاشغال الرأي العام بما يلهيه عن المطالبة بحقوقه وسيادته .

(٦) — حرمانهم الامة ممارسة الاستقلال وتوطيد السياسة ، وبذلك ابعدوها عن تهيئة مستقبلها واعداد عدتها لان تتبوأ مكانتها وان تمارس حقوقها وتظهر مواهبها الثقافية والاقتصادية .

وبعد ، فليتهم عقلوا فابتعدوا عن الاساءة الينا وعن انفاقهم الاموال من خزائنهم وعن التضحية بابنائهم في ارض ليست لهم ، وليتهم عقلوا فاهتدوا الى الاعمار والتنظيم واختيار الاكفاء من الرجال والعمال، واخلصوا النية في فهم روحية الامة ومطاليبها ولو عقلوا لجعلوا من سورية بلاداً زاهية لامثيل لها في هذا الشرق العربي ، ولو عقلوا لاوجدوا لهم دولة صديقة تتعاون واياهم على ما فيه خير الطرفين وخير العالم ، لكنهم لم يفعلوا — ولن يفعلوا — لان

البناء لا يكبر عن عقل بانيه ، وفاقد الشيء لا يعطيه فالفرنسيون لم يعتادوا الاحسان الى الامم التي احتلوا بلادها ، وهم ان احبوا الحرية فانهم يحبونها لانفسهم وبلادهم ولا يحبونها لغيرهم ولا لبلاد غير بلادهم .

ان اضرارنا لا تعد ، وخراب وطننا لا يوصف ، ولابد ان نحاسبهم عليه وسيحاسبهم الدهر في بلادهم فيورثهم الخراب وظلم الاغيار ، وسيندمون على ما فرطوا بعد فوات الاوان ، وسيجنون عاقبة ظلمهم واستبدادهم واستسلامهم للعاطفة والشهوات .

وعلى كل ، علينا ان نقاومهم وان نهدم معاقلهم وخططهم وعلينا ان لا نخضع لغير ضمائرنا ومبادئنا ولا ان نذل ونخزي لسطوتهم وجنودهم وعسفهم ، فقد يتمادون بتجاربهم وقد تشتد قساوتهم ولكنهم الى الخيبة صائرون . مرت عليهم ست سنين لم يفكروا في العواقب ولم يتعظوا بالحوادث ولم ينتبهوا لها ، فما يرجى منهم ؟ .

انهم قد يحاولون اجراء غير ما بلوناه وعرفناه ، فلا نيأس ولا نجزع وان تنظيم الصفوف وتحمل المكاره وتقوية الروح الوطنية والدعاية الى كسب العطف من الرأي العام والتشهير باعمال فرنسة والفرنسيين والدفاع عن حقوقنا ومطالبنا لدى عصبة الامم والدول المحايدة مما يساعدنا على تخطي الصعوبات والوصول الى اهدافنا ويوم خلاصنا .

وليعلم كل وطني ان دستور الاستعمار في بلادنا واحد لا يتغير جوهره ولو اختلف شكله بتوالي الزمن واختلفت الاحزاب الفرنسية وتبدل المفوضون والموظفون الفرنسيون فدستورهم هو هو ومراميه لاتتعدى الامور الاتية :

(الاول) — ربط سورية بالامبراطورية الفرنسية وحصر مواردها وثرواتها بالرأسماليين الفرنسيين والشركات الفرنسية .

(الثاني) — ادارتها عسكريا الى ان تخضع نهائياً ثم ادارتها مدنياً .

(الثالث) — استخدام الموظفين لادارتها من المستعمرات ومن المنتسبين الى وزارة الخارجية الافرنسية .

(الرابع) — وضع اليد على الاسواق والموارد الاقتصادية كالجمارك والموانئ والري والزراعة وبعض الصناعات وادارتها من قبل الفرنسيين ومنح الشركات الفرنسية الامتيازات الخاصة لتشهير اموالهم وتشغيلها في ثروات البلاد ، ولهذا انشأوا (بنك سورية ولبنان) وهو مصرف لتصدير والصرافة والرهونات ، و (البنك العقاري الجزائري) وهو مصرف للرهونات واقراض الفلاحين في مقابل رهن اراضيهم ، و (بنك الرهونات) للاراضي والبيوت والمجوهرات ، و (البنك الفرنسي) للصرافة، و (شركة الجر والتنوير والماء في حلب) و (شركة الكداسترو لمسح سورية على حساب الحكومة) و (شركة ارواء سهول حمص) ، و (شركة القطن) و (شركة النقليات) و (شركة المشاريع العامة) وغيرها .

(الخامس) — اقصاء السوريين عن الساحات الاقتصادية بكثرة الضرائب ومزاحمة اصحاب المعامل والمتعهدين .

(السادس) — سلب الوطنيين ما لديهم من الاوقف والاراضي الاميرية والمعادن والينابيع وهي من قوى الطبيعة ومن قوى الامة الموروثة .

(السابع) — تجزئة البلاد لاضعاف الرأي العام وسهولة التحكم .

(الثامن) — تقوية الاقليات ومساعدة الغرباء والدخلاء واستخدامهم في الجيش والوظائف الحكومية .

(التاسع) — قتل الروح القومية والحركة الوطنية تدريجياً .

(العاشر) — تبديل اساليب التعليم والتربية وتوجيهها توجيها يقتل المواهب الفكرية ويميت روح التشبث والاعتماد على النفس ، ويفسد المزايا الخلقية والفضائل الروحية ويلائم غايات الاستعمار والروح اللادينية واللاقومية .

(الحادي عشر) — ارغام السكان على قبول المدنية الفرنسية وآدابها وعاداتها لافساد الآداب العربية .

(الثاني عشر) — تأليف حكومات محلية مسخرة واستقلالات اقليمية مذهبية وطائفية وقلب اشكال الادارة كل مدة لتكثير طلاب الوظائف وانصار الانتداب والهاء الشعب بما لا يجديه نفعاً وابعاده عن ممارسة الشكل الذي يراه ملائماً ومستجمعاً لشتاته ووحدته وسيادته .

(الثالث عشر) — تعيين الموظفين وانتقاؤهم من الانصار والاغيار ومسلوبي الارادة وضعفاء الوجدان حتى يكونوا طوعاً لاسلطة فلا يتمردوا على اوامرها .

(الرابع عشر) — جمع الذهب من ايدي الناس والذهاب به الى فرنسة وابقاء التداول بالورق السوري الذي يصدره البنك السوري اللبناني ليتحكم الاستعمار بقدرتنا الاقتصادية ويستثمر نشاطنا الصناعي .

(الخامس عشر) — نشر الدعاية بين الاجانب والاهلين بان ترك فرنسة لسورية معناه اقامة المذابح بين المسيحيين والمسلمين ، وان السوريين ليس فيهم الاهلية والكفاءة للاستقلال وحسن الادارة وفهم السياسة .

(السادس عشر) — خنق الحريات السياسية والاجتماعية حتى لا يفهم الشعب ما هو البلاء المحيط به ولا يرى الشباك المنصوبة له .

(السابع عشر) — اباحة الزواج المدني وتكثير الملاهي ودور الرقص ودور البغاء وادخال الراقصات والمتفننات من الاجانب لافساد اخلاق الشبيبة وسوقها الى حياة اللهو والترف والخلاعة ، واضعاف قوى الشعب الادبية .

(الثامن عشر) — نشر المبادئ الشيوعية بين الفلاحين لمقاومة اصحاب الاراضي وتشويقهم على التمرد لا حباً بالشيوعية ولا انصافاً لفلاحين ولا مساعدة للزراعة واحياء الاراضي ولكن للشغب على اصحاب المزارع وكبار المتمولين بمساعدة ضباط الاستخبارات وجيوش المليس واضعاف قوتهم ونفوذهم وسلب الاموال منهم .

(التاسع عشر) — اضطهاد المعارضين والمناوئين لسياسة الانتداب وافعال ممثلي الانتداب والفتك بهم بشتى الطرق والوسائل والاحتيالات التي هي من اساليب القرون الوسطى الوحشية .

(العشرين) — تعويد ارباب المصالح واصحاب الظلامات على مراجعة رجال الانتداب دون الحكام والموظفين المحليين حتى يكونوا الكل في الكل ولا يبقى لامر غيرهم طائع ولا بكلمتهم سامع .

(الواحد والعشرين) — حماية الاقليات وترجيح الانصار وتسهيل معاملاتهم وتوظيفهم وتوجيههم الى مقاومة الآخرين وابعادهم عن الوظائف لاثارة الضغائن والحقد .

(الثاني والعشرين) — اهمال ما يحيي التراث القديم من ثقافة وآداب وعادات وتقاليد محترمة كيلا يقوى الشعور القومي ويتنبه الناس الى دراسة ماضيهم ومعرفة تاريخهم والمطالبة بحقوقهم ومجدهم واذا اراد القارئ ان يتحقق من صحة ما ذكر فليتتبع الوقائع وتاريخ الحوادث وليلاحظ مايعمله الانتداب منذ دخوله حتى الآن وليستمع الى اقوال الخلق فهي اقلام الحق ، ورحم الله القائل :

وليس يصح في الاذهان شيء　　　اذا احتاج النهار الى دليل



الفصل الرابع

الثورة واسبابها من عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٢٦

وما هي نتائجها

عرف بالتجربة والاختبار ان ذهنية الفرنسيين في الاستعمار واحدة لا تتبدل وان موقفهم تجاه سورية ، اما ان يتركوها لاهلها أو ان يبقوا فيها بكل عناء ، ولماذا ؟ لان الانتداب اذا فرضنا ان عصبة الامم فرضته علينا لازالة النزاع بين الامم فان فرنسة لاتنظر اليه نظرة منفعة للسوريين ، ولكن تنظر اليه نظرة منفعة لاستعمارها ولذا فان سياستها سوف تستمر (هكذا اريد فيجب ان تريد) وهذا معناه انني هنا وسأبقى هنا بالقوة وبالسيف والمال شئتم ايها السوريون ام ابيتم !.

لماذا حدثت الثورة ؟ وهل من ضرورة لها ؟ وهل كانت وليدة الساعة ام هي نتيجة لهذه السياسة ؟وهل صدرت عن قلب الشعب ام اوقدتها يد خارجية ؟ وما هي نتائجها ؟ .

ذلك ما يجب ان نعرفه لان الثورة مظهر من مظاهر حيوية الشعب وقوته وعرض من اعراض الحياة وتفاعلها ، وان لم تكن فلا تتحول اوضاع الحي ولا تزول من امامه العقبات ولا يسلم من عوامل الفناء ، واذا علمنا ما كان من ضغط وارهاق وظلم واستبداد واستفزاز ، وعلمنا ما كان في قلوب الناس من آمال وخيبة ، ومن حاجة واضطرار ، وعلمنا ما في الافكار من ذكريات الماضي وتجارب الحاضر ، واحلام المستقبل ، وعلمنا ما مر في تاريخ البلاد من تطورات واحداث وعوامل ، ادركنا ان الثورة لم تكن وليدة الساعة بل كانت ابنة السنين القاسية التي مضت قبل الحرب وبعدها ، وهي ابنة العقائد وما كان من وحيها والهامها ، وما زادها سرعة وانفجاراً وزادها عمقاً واتساعاً الا وجود الفرنسيين وعمال الفرنسيين ، فحركت روح الجماعات واثرت في المشاعر وساقت الشعب

الى المقاومة والتضحية باقدام وجرأة غير هياب للعواقب ولا وجل من النوائب .

اما ضرورتها فامر طبيعي لا شعوري لأن العقل الباطن في الجماعات متى لامسته المؤثرات الخارجية المثيرة ، انفجر من طبعه واندفع بغرائزه الى التخريب والتهديم والتمرد مماشاة لروح المقاومة وضرورات الدفاع عن ذاته وبقائه وحقه .

ماذا يعمل السوريون امام الازدراء والتصرف الكيفي ، امام خنق الحرية والعبث بالحقوق ، امام الظلم والفقر ؟ هل لهم غير التمرد والعصيان ؟ واذا زاد الارهاق والضغط والاضطهاد ، هل لهم غير الثورة اذا ارادوا الحياة ؟ .

انفجرت الثورة ، وكانت من قلب الشعب وايمانه اذ امتدت باسرع من لمح البصر الى معظم الاقطار السورية ، واشتركت فيها الرجال والنساء والاولاد من جميع الطبقات ، ولم تستند الى قوة خارجية ، ولا استمدت قوتها او وحيها من قوة اجنبية ، بل كانت قوتها من الشعب ومن عناصره الحية الفعالة المتأججة ، ومن ابنائه العصاميين البررة لانها في سبيل خلاص الامة وتحرير الوطن وحفظ كرامته وحقه .

(ما هي العوامل التي اشعلت نارها ؟؟!)

اشرنا فيما مضى الى بعض الاسباب ، وها نحن نقص على القراء باقيها اثباتاً للحقيقة :

الاقوال التي هيجت الشعور واستفزت كوامن النفس .

اولاً — قول (غورو) من خطبة له يوم كان مفوضاً سامياً في جمع غفير من اللبنانيين يهددهم ويتوعدهم : (اننا ورثة الصليبيين اتينا لنكمل عملهم) ، وقال لمن دعاه الى زيارته عندما كان في حمص : (من لم يعجبه البقاء في سورية تحت انتدابنا فليذهب الى محل آخر) وقال في جبل عامل عقب الهجوم الذي انصب عليه وهو ذاهب الى حوران : (لا تحرجوا الاسد الرابض في عرينه فيخرج اليكم) .

ثانياً — صرح (دەلاموط) قائد الفرقة الفرنسية يوم دخوله وجنوده حلب واحتلالهم المنطقة الشمالية في حفلة رسمية دعي اليها وجوه البلدة واعيانها وتجارها وموظفوها وزعماء محلاتها ، وكان احد المدعوين قد وقف وشكا من سوء ادارة الحكومة والحكام الذين

عينهم واعتمد عليهم ، فقال له الجنرال المذكور : (الكلاب تنبح والقافلة تسير) ، ومعناه اننا نمشي باعمالنا ولا نبالي باقوالكم لانكم كالكلاب تنبحون .

ثالثاً — قول المسيو (بيجان) في دمشق يوم ثار جبل الدروز وثارت الغوطة على الفرنسيين وغلبوا على امرهم : (اليوم يومكم يا مسيحيين) يريد بذلك ان يستفزهم ليحاربوا بجانبهم ويجعلوا الثورة بين المسلمين والمسيحيين لا بينهم وبين السوريين .

و (بيجان) المذكور كان رئيس الاستخبارات لم يترك فظاعة الا ارتكبها في حق الثوار والابرياء من الشباب ، فكان يقتل على الشبهة ، ويعذب بانواع العذاب من يلقي القبض عليه ويسجن من يراه خارجاً من بيته ، وفي السجن كان يجلده ويعذبه ويرميه للكلاب ، وتارة كان يقتله فوراً برصاص مسدسه وغير ذلك من الفظائع الوحشية التي تقشعر منها الابدان ، وكان القوماندان (دهبيوفر) في الشمال يعمل عمله في القتل والعدوان والتنكيل .

رابعاً — قول الجنرال ساراي للوفود يوم امت قصره لترفع شكواها اليه : (انكم لازلتم قصروا لقاصر لا يحق له المطالبة بالاستقلال الا متى بلغ رشده) ، ومن قال له اننا قصر ؟ ومن وصاه بالاشراف علينا ؟ وما هو حد القصر في العرف الدولي ؟ ومتى تبلغ الدولة سن الرشد ليحق لها استرداد استقلالها وممارسة سيادتها والتصرف في امورها وشؤنها .

خامساً — قول المسيو (برونه) احد مندوبي وزارة الخارجية يوم جاء للاطلاع على احوال سورية : (ان الدستور الذي تطالبون به لا يوضع الا عقب الثورة) .

سادساً — قول الموسيو ده جوفنيل مخاطباً السوريين : (ان السلم لمن اراد السلم والحرب لمن اراد الحرب) ، وقوله في جرائد فرنسة : (يوجد في سورية ثلاثة احزاب : حزب يعمل لحساب غيره ، وحزب يعمل لوطنه ، وحزب يعمل بدافع التعصب) ، واراد بذلك اتهام القائمين بالحركة الوطنية وازدراء مبادئهم ، مع ان البلاد لايوجد فيها الا حزب وطني يدافع عن حقه وحريته واستقلال بلاده ، وحزب من الانصار يمشي مع الاجنبي

للاستثمار ، وهو كالعبد الذي يؤجر نفسه في مقابل دريهمات يقتات بها ، او كالمريض النهم الذي يأكل كل ما تصل اليه يده ولا يهمه من اين اتى الطعام او ما هو هذا الطعام.

فهذه الاقوال ومثلها الكثير مما يقوله ويذيعه الفرنسيون في خطبهم وتصريحاتهم واحاديثهم لا شك انها كانت تثير كوامن النفس الابية وتذكي نار الحقد والانتقاض وقد اوقدها اعمال الجنرال ساراي والمسيو ده جوفنيل : الاول بطيشه وخفته واستبداده ، والثاني بنكوله وتردده ونكول حكومته عما ارتأى وقرر .

اما العوامل فنلخصها بما يأتي :

(١) — اشتداد المطالبة بالاستقلال بروح وطنية ثائرة بعد ما اتضح سوء الادارة وسوء نيات الفرنسيين كما بينا .

(٢) — الشعور بالكراهية والنفرة وازدياد الهيجان .

(٣) — توالي المصائب والكوارث .

(٤) — كثرة ما يلقاه الشعب من اهانات وازدراءآت .

(٥) — توقف الحركة الاقتصادية .

(٦) — شدة الضغط والاضطهاد .

(٧) — عدم الوثوق بالاقوال الرسمية ، وكثرة احتيال العسكريين والمسؤولين .

(٨) — ارتكاب البعض من رجالات فرنسة مالا يتفق مع شرع ولا ادب .

(٩) — خيبة التنظيمات وسوء المعاملات .

(١٠)— الاساءة الى مصالح الشعب واقتصادياته بتأليف الشركات الفرنسية واعطائها الامتيازات وانشاء المشاريع الفرنسيين وتفضيلهم على الوطنيين .

(١١) — قيام السياسة على اساس خلق وطن قومي للاقليات العنصرية والاقليات الدينية والمذهبية واثارة النعرات الطائفية والحزبية اتباعا لسياسة (فرق تسد) .

(١٢) — تحكيم الغرباء والمأجورين برقاب العباد وتسليمهم ادارة الحكومة للتنكيل ولسلب الاموال .

فلهذه العلل والاسباب لجأ الشعب الى الثورة بعد ما خابت كل محاولة لتفهيم الحقيقة واخذ حقوق البلاد بحسن نية وتفاهم .

وكان من دواعي الاسف ان اصيبت دمشق والغوطة وجبل الزاوية بمعظم النكبات واشدها اما خسارتها فيما احرق واتلف وهدم فقد قدرت بما قيمته مليونا ليرة ذهبية ، اما من قتل واستشهد فسبعة آلاف شخص او اكثر .

وكما اصيبت هذه الديار وقراها بهذه المصائب ، اصيبت حماه ، وحمص ودير الزور وحلب واللاذقية بخسارات عظيمة في الاموال والانفس والمباني ، وكذا اصيبت قرى دوما وبعلبك والقلمون والزبداني وحاصبيا وراشيا وجبل عامل بمثلها . فالحملات العسكرية التي ارسلت لاخماد نار الثورة وتعقيب الثائرين والطيارات مهما لم تترك بيتاً عامراً ولا قرية آهلة ، ولا رحمت رجلا ولا امرأة ولا طفلا ولا شيخا ، بل كانت تقتلهم وترمي امكنتهم بالقذائف فتدكها وتجبي منهم الغرامات الحربية بالتهديد والتنكيل وتنهب ما تجده من الامتعة والمؤنة ، وتضبط المواشي والاغنام وتسجن العجائز والاطفال وتقتل منهم من تشاء للذعر والارهاب وهم من ذوي قرباهم وآبائهم بمرأى ومسمع .

✻ ✻ ✻

يا لهول تلك الفظائع ، ويا لقبح هاتيك المظالم ! فكم من اسر هاجرت او قتلت وكم من امهات ثكلت واولاد تيتمت ، وكم من بيوت حرقت ونهبت ، وكم من اعراض انتهكت ولا سائل ولا مسئول ، وكم من رضيع ماتت امه وهو على ثديها ، وكم من فتاة انهتك سترها امام ابيها وامها واخيها ، وكم من عين فقئت بلطمة مقصودة وصاحبها مكتوف ، وكم من شيخ قتل وهو واقف بين يدي ربه او راكع في صلاته او ذاهب للعبادة واداء فرضه .

الطيارات تقذف بالقذائف الجهنمية ، والدبابات ترمي بشرر محرق والبندقيات ترسل الرصاص من كل جانب ، والجنود تهاجم كالذئاب المفترسة فتقتل هؤلاء المساكين حتى لا يبقى من يناوئ فرنسة المتمدنة ولا من يصيح في وجهها : (الويل للظالمين) !!!

(والويل للقاسية قلوبهم) .

تحملت سورية مالا تحمله امة ، وذاقت الواناً من العذاب لم يذقه غيرها ، وما ذنبها الا السعي وراء حقها والنضال في سبيل حريتها .

ولكن فرنسة (فرنسة الحرة !! ..) معلمة البشر الحرية، فرنسة معلنة حقوق الانسان (يا للنذالة والكذب) ، ترتكب هذه المظالم البربرية باسمها واسم عصبة الامم واسم اثنتين وخمسين دولة متمدنة !! .

فرنسة !!! ، انسيت في الامس انك ثرت على الملوك الباغين والامراء المستبدين ؟ ثرت على (الباستيل) سجن الاحرار والعلماء فهدمتيه واطلقت حريتهم ، وقضيت على من كان آلة الظلم فانقذت وطنك منه واعطيت شعبك حقه من الحرية والسلطة والحياة ، واعلنت العدل والحرية والمساواة !!! فما بالك تفعلين في سورية مالا يفعله نيرون في روما وتعاكسين مبادىء قومك المقدسة ؟! .

واخجلتاه مما تقترفينه في بلادنا من فظيع الاعمال وقبيح الاقوال !! ووا اسفاه على عهدنا الوطني الذابل ومجدنا الزائل ، ووارحمتاه لشهدائنا واحرارنا ، وواحسرتاه على جهودنا التي لم تكن كافية ، وواسوأتاه للذين تخلفوا عن التضحية والجهاد من ابناء قومنا ! .

ايها السوريون

ان الثورة هي لسان حالكم ، وهي آخر ما يلجأ اليه طالب الحق والسيادة اكرهتم عليها فيجب ان تعم ، وعلى كل فرد ان يؤدي الامانة وان يجاهد في سبيل وطنه بقدر ما يستطيع : الغني بماله ، والخطيب بعقاله ، والقوي بسيفه وجسمه ، وصاحب الرأي بتدبيره ، واذا قل السلاح بايدينا فلنحارب بما لدينا ولا نتكل على احد سوى سواعدنا وعقيدتنا وحقنا .

ان النضال لا يشترط فيه النجاح لاول مرة ، بل يشترط فيه الثبات والدوام والايمان ب ان لا ننسى حقنا في الاستقلال والحرية .

الا بئست المدنية ، مدنية الظلم والقتل والاستبداد !

الا بئست الانسانية ، انسانية فرنسة في سورية !

الا بئس الارشاد ، ارشاد اوربا في القرن العشرين !!

الا بئست العهود ، عهود السياسيين (وكم نقضوا عهداً من بعد ميثاقه) اليس من العار ان تصبح فلسفة السياسة في عصرنا الحاضر فلسفة اكراه واستعمار لا فلسفة تعاون وانهاض ، وان يكون الانتداب الذي اختاروه لمساعدة الامم الصغيرة وسيلة تدريجية الى الانحلال والسقوط ، وان يكون شعار عصبة الامم : الحق مع القوة ، ولا حاكم الا المنفعة ؟ .

ايها القارئ :

وصلت الى هنا بعد الشرح والبيان والثورة لما تنته ، واعلمتك اسبابها وعواملها دون تفصيل لوقائعها لان ذلك خاص بالتاريخ ، واما اكتب عما اعلمه وعما يخالج نفسي من حسرة والم واحتراق .

وبما انني ذكرت لك مجيء ده جوفنيل وما كان من نهاية امره ، عليّ قبل ختام الكلام ان اقص عليك شيئاً من الاعمال التي جرت في اثناء وجوده ، الى ان عاد الفرنسة غير موفق فيما اراده .

ان هذا الرجل وقد قيل عنه انه رجل السياسة وداهية بصير بالتدبير وعضو (البرلمان) الفرنسي القدير وخطيبه المفوه ومحب السلام ، لم يكن بعد مجيئه الى سورية الا رجل الكلام والبيانات ضعيف الارادة كثير التقلب ، اخذ باقوال غيره ، واتبع آراء رجال الاستعمار ، فظهر انه فرنسي كبقية الفرنسيين يعتمد على الخديعة ويلجأ الى الحيلة ويتأثر بالعاطفة بدلا من الصراحة والتدقيق ويبتعد عن تحكيم العقل في تعيين المصلحة وتحديد العلاقة .

ولو تأملنا تصريحاته في فرنسة وقوله عن سورية : ان فيها ثلاثة احزاب : حزب ضد الانتداب ، وحزب ديني متعصب ، وحزب يعمل لحساب الاجانب ، لاستدلانا على

ان بصره قاصر وان دراسته للحقائق لا حقيقة لها وعلى انه يقول دون امعان او روية . ٨

ولو امعنا النظر في اقواله بانه (سيطبق) الانتداب على ما يفهمه هو ، وسيرى السوريين مدنية فرنسة وسينيلهم حقوقهم لبدا لنا انها اقوال خلابة تدل على غرور وكبرياء وتضليل ، لانه لم يعلمنا كيف يرينا مدنية فرنسة ، ولم يقل لنا ما هي تلك المدنية التي يدعيها وما هو المفهوم عنده من الانتداب الذي رفضناه ، وكيف سينيلنا حقوقنا وهي مسلوبة منا بقوة جنود الفرنسيين وحرابهم .

هل نسي اننا جربنا من سبقه وجربنا عمال امته ؟

ومما يدل على سوء تدبيره انه اعاد المسيو (دەربفي) اكبر مستعمر وسلاب ليساعده، وعين المسيو (په رآليب) مندوبا فوق العادة لدى حكومة سورية وهو رجل مستبد وداعية للانفصال ، وفي ايامه وتحت اشرافه جرت الانتخابات في حلب سنة ١٩٢٥ لتأليف مجلس تمثيلي يقول بالانفصال . هذا المجلس الذي قاطمناه وتظاهرنا واعلنا نقمتنا عليه وقتل من ابنائنا في اثناء التظاهرة سبعة شهداء ،وجرح الكثيرون ونفينا نحن الى (ارواد) فهل يكون مثل هذا الرجل وسيلة الى خلق الثقة والطمأنينة في القلوب وتهدئة الحال في سورية ؟ .

وزيادة على ذلك لما اراد ده جوفنيل تسكين الامور عزل صبحي بركات وحكومته لان المومأ اليه لم يعد بامكانه البقاء في الحكم نظراً الى عجزه وسوء نيته وانتشار رائحة نتنه وفحشه ، وعين مكانه الداماد احمد وحكومته فلم يكن موفقاً في تعيين هذا الرجل الضعيف الارادة الذي لا علاقة له بسوريا والسوريين .

ومن اجراءاته انه ارسل وفداً برئاسة الامير امين رسلان الى جبل الدروز ليفاوض المجاهدين في الصلح ، ولكن الوفد عاد من حيث اتى لان الزعماء ابوا تقديم شروط للصلح غير التي قدموها لده جوفنيل في مصر ورفضها ونكل عن قبولها .

ثم انه زار حلب في ٣٠ كانون الاول ١٩٢٥ ونشر بياناً شكر فيه الشعب على هدوئه ودعاه الى السكينة وان ينتخب مجلساً تمثيلياً لوضع الدستور الاساسي وتقرير مصيره .

وما هذا المستور لحلب فقط ؟ وما هو المصير الذي سيقرره ؟ انه قصد احداث الشقاق بين حلب ودمشق وتهديد الثوار والقضاء على الثورة فلم ينجح . وبعد الخطاب ودرس الحال قفل راجعاً واصدر قراره باجراء الانتخابات لمجالس تمثيلية في حلب وحماه وحمص ودير الزور والاسكندرونة ، واعطى الحق لكل محافظة ان تنتخب ممثليها حسب القرار الذي كان (ويغاند) اصدره وان يجتمع الممثلون ويقرروا مصير ارتباطهم في العاصمة اذا شاءوا ، وان يضعوا مواد القانون الاساسي لادارة لوائهم متجاهلا ان الاتحاد كان قرر رسمياً فلماذا يتلاعب بعقل الشعب ومقدراته ؟ اليس ذلك دليل على سوء نيته وسوء تدبيره وتدبير معاونه (ده ريفي) ومندوبه (به رآليب) .

وليضلل مرجعه ويثبت خطته اعطى مندوبيه ومستشاريه اوامر سرية بدفع الاهلين الى تختيم رقائع (مضابط) تطالب بالانفصال ، واعلن الادارة العرفية في دمشق وحماه وحمص لان اللواءين الاخيرين ابيا الاشتراك في الانتخابات وقاطعاها كما قاطعتها حلب ، واعاد المحاكم العسكرية او المحاكم الاستقلالية كما سميت تحت رئاسة قاض فرنسي وعضوين سوريين ونائب عام فرنسي لمحاكمة الثائرين والزعماء وضبط املاكهم وبيعها وحرمانهم الحقوق المدنية وصرف الاموال على المشاريع الخيرية .

واصدر قراراً بمحاكمة كل من يمنع الانتخابات او يؤثر فيها وان تضبط اموال الوجهاء الذين يؤازرون الثوار ويمدونهم بالمال ، ونفى من حلب ثمانية اشخاص وهم : كاتب الاسطر ، وسعد الله الجابري ، واحمد الرفاعي ، والشيخ طاهر الكيالي ، وصلاح الدين الجابري ، والحاج ربيع المنقاري ، ومنير العمادي ، وعثمان الشراباتي ، فقادتنا الشرطة الفرنسية مكبلين بالحديد الى قلعة ارواد لتكون لنا سجنا وأعقب مجيئنا السيد هاشم الاتاسي واخوه ، ومظهر باشا واخوه ، وشكري الجندي واخوته نورس وتوفيق وعمه ، ويحيى خانكان ، ووصفي الاتاسي ، وعبد القادر الاتاسي ، وكلهم من وجوه حمص واعيانها ، وسجن (٣٦) شخصاً من وجوه حلب وشبابها في الثكنة العسكرية بحلب ، وسجن ما يزيد عن خمسة عشر شخصاً من اهالي حمص وما يقرب من ثلاثمائة شخص من اهالي

دمشق بلا محاكمة ولا مسوغ شرعي ، وفي التظاهرة التي مشى فيها اكثر من خمسة آلاف شخص في حلب وعلى رأسها الشيخ طاهر الكيالي احتجاجاً على اعتقال من اعتقل ، قتلت جنوده ستة وثلاثين شخصاً رمياً برصاص (المترااليوز) وجرح ثمانون بالسيوف التي شهرها العسكر الصباهي المراكشي الذين جاء بهم لقمع المظاهرة ، وكان على اثرها اغلاق المدينة واحتجاجها ثلاثة ايام وقيام حمص وحماه بالاحتجاج والاغلاق خمسة ايام ايضاً مشاركة لها .

وستراً للخيبة التي منيت به سياسة ده جوفنيل استدعى اولا الشيخ تاج الدين الحسني الى بيروت لتقليده الحكم فما افلح ، ثم استدعى السيد عطا الايوبي فلم يقبل ، واخيراً قرر تعيين (المسيو بيرآليب) حاكما عاما مدنياً ليحله مكان صبحي بركات ، واصدر امره بالحكم المباشر وخلي سبيل المنفيين في (ارواد) لان العساكر الفرنسية على زعمه دخلت السويداء . وهبط دمشق وخطب بالناس وبين ما سيفعله ، واعلن كما قلت سابقاً (ان السلم لمن يريد السلم والحرب لمن يريد الحرب) ، ثم جند من متطوعة الجركس والارمن والعلويين والاسماعيليين جيشاً عظيما اسماه (جيش الانصار) وارسلهم لمحاربة اخوانهم ، وفي ١١ شباط ١٩٢٦ سافر الى انقرة وتذاكر ورئيس الجمهورية التركية وامضيا صك اتفاق بقي طي الكتمان حتى الآن لكنه تضمن ما يرضي الاتراك وبكف صحفهم عن الحملة على الفرنسيين ، وبقطع المدد الذي كان يشتري من تركيا ويجتاز بحدودها ليصل الى الثوار .

* * *

انهي مقالي عن اعمال ده جوفنيل ، وانا لا ازال في السجن ، وللقارئ ان يستنتج ما شاء عن اعمال هذا الرجل ومن سبقه ، وان يحكم فيما اذا كان الفرنسيون اهلا للارشاد وموضعاً لثقة عصبة الامم ؟ !!! .

واقول من باب التكهن لما اعلمه من قومي ومن عزيمتهم الصادقة ان المسيو ده جوفنيل سيخيب بسياسته وسوف يرجع عن عزمه ويعود الى بلاده ليطلعهم على ما رآه وارتآه ، فان اقروه عاد والا بقي في بلاده ملوما مدحورا .

وان الذي اراه ان فرنسة سوف تخيبه ولا تجيبه الى مطاليبه ، وسوف ترسل غيره مع تعاليم جديدة لا تأتي الا بمحاولات لاطفاء نار الثورة وتخدير اعصاب الشعب وتلهيته بامور ظاهرية لابقاء ما كان على ما كان !!!! .

ولتفعل فرنسة ما تشاء فالشعب لها بالمرصاد ،

ونحن لاندعن لغير مبدئنا ، ولن نرجع حتى نحصل استقلالنا ، ولن نعمل الا بما قاله شاعرنا امير البطولة والكفاح .

ونحن اناس لاتوسط بيننا — لنا الصدر دون العالمين او القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا — ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر



الفصل الخامس

نتائج الجهاد السياسي في الدور الفرنسي من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٢٦

ان دور النضال والكفاح لم ينته لنحكم على نتائجه ، فالثورة لاتزال مشتعلة ، والعراك مستمراً ، والسوريون لايزالون في موقفهم السابي ، يقاومون الانتداب ويسعون لنيل استقلالهم .

لاشك ان معرفة ما سيكون تتوقف على الاستقرار ، ويستحيل التكهن عن المصير وهو يحتمل الوجهين ، وعلى كل حال سنستمر في جهادنا وان حملنا مالا نطيق من تضحية واصابنا من مشقة وحرمان ، والثورة وان قهرتها القوة واخمدتها نيران المدافع ، فلا يعني ذلك اننا استسلمنا او تركنا خطتنا ، ان الحرب كما يقال سجال ، والايجابية لن نفكر فيها ما لم يتحول الفرنسيون عن موقفهم ويقروا مبدأ المساواة والتعاقد ، ويتعهدوا بتقديم صك اتفاق يضمن مصالح الطرفين دون اخلال بالسيادة والوحدة والاستقلال .

والذي ندين به ان الجهاد فريضة مقدسة وان كان فيه بذل اعظم المحبوبات وادخال اعظم المشقات عليها ففيه اعزاز الوطن واحياؤه وما علينا الا الدوام ، اما النتائج فمنها ما يكون مفيداً ومنها ما يكون مضراً ، وما كانت الفائدة او الضرر موضوعين لجهاد في يوم من الايام بل الموضوع (حق الامة) والدفاع عنه وخلق حركة دائمة لتعزيز الحياة واسماع الحقيقة وتصحيح الاخطاء والوصول الى الغاية .

وعليه يمكننا تعداد النتائج التي حصلنا عليها حتى الآن دون انتظار ما تنتجه الثورة من نفع او ضر وما سيفعله الفرنسيون بعد هذه الساعة .

والملخص ان القضية العربية لم تعد خافية ولا مجهولة ، وانها ارتبطت بمقدرات الدول تناقلتها الالسن ، واطلع على حوادثها الرأي العام الغربي والشرقي ، وان ما وقع في سورية من حوادث المقاومة والثورة ، وما كان من وقائع العراق ، وحالة فلسطين ، وموقف

الحجاز بعث على انتشارها ولفت انظار العالم اليها .

وللثورة علاوة على هذا المفهوم العام ما يلي :

(اولا) — ساعدت على تعجيل الحركة التحريرية التي عمت الاقطار العربية الاخرى حتى غدا كل قطر وكل فرد يطالب بالاستقلال ويعمل لاجله .

(ثانيا) — ازالت عن الاذهان ما وصم به العرب عامة والسوريون خاصة بانهم لا يعرفون من النضال الا الوصول الى المال وانهم غير اهل للاستقلال ، وان المزايا الحربية التي كانت لابائهم من عهد بعيد بادت ولم يبق لها في نفوسهم من اثر بتوالي العصور التي كانوا فيها محكومين لاحاكمين ، وان نساءهم تباع كالسلع وانهم غير متمدنين وان اكثريتهم جاهلة ، وان المسلمين يعتدون على المسيحيين ويذبحونهم ، وان التعصب مستحكم في قلوب السكان ، وان السوريين قاصرون عن الوصول الى الحكم ولا يزالون متأخرين ولابد لهم من دولة اجنبية تدربهم وتتولى الوصاية عليهم وغير ذلك من الترهات والاقاويل التي يبثها دعاة الاستعمار في جرائدهم وفي وسائلهم الاخرى ، ولكن قيام الحكومة العربية وما جاء في تقرير (كرين) عنها وعن اماني العرب واسباب ثورتهم ، وما حدث من وقائع في حوران وحلب وحمص وحماه ودير الزور ودمشق احتجاجا على مرامي السياسة الفرنسية وانتدابها ، ثم قيام ثورة هنانو ورجاله مدة سنة يحاربون الفرنسيين دفاعا عن استقلال البلاد وما اعقب هذه الثورة من ثورة جبل الدروز والغوطة والقلمون والنبك وما جرى فيها من معارك وما سقط فيها من جنود واهلين ، وما كان من نشر الجرائد الغربية لهما وتصوير وقائعها وحوادثها وكتابة المقالات المطولة عن العرب والجزيرة ، وعن الثورة واهدافها وكشف الستار عن الحقيقة والبحث عن العرب وحضارتهم واهليتهم وعن الانتداب ومراميه الاستعمارية في انكلترة وامريكا والمانيا وايطاليا ومصر ، لاشك جعل العالم يدرك ان ما يقوله المبشرون المتعصبون وما يكتبه الكتاب المأجورون دعاة الاستعمار والصحف الرسمالية هو باطل ومصطنع واثبت ان العرب ليسوا طلاب مال وان ثورتهم للاستقلال ، وانهم شعب يناضل عن حقه وحريته ، فلو اعطي له المجال وساعدته الدول لتبوأ مكانته وبنى حضارته وادى رسالته .

(ثالثاً) — اخفاق خطة الاستعمار وبعد السلطة الفرنسية عن النجاح في محاولاتها لتثبيت قدمها واستمالة الشعب للاقرار بانتدابها ، ولو كان الامر عكس ذلك لما اسرعت الى تبديل مفوضيها وموظفيها وانفقت ما انفقت من الاموال وهدرت دماء الالوف من الجنود وما اجدى عليها .

(رابعاً) — ازدياد معرفة الامة بنفسية الفرنسيين ومرامي الغربيين فقد كان الناس يجهلون ما يبيته هؤلاء وراء تظاهرهم الانساني وعطفهم المقنع فلما حلوا في بلادنا وعاملهم المخدوعون انكشفت حقيقتهم وسوء مقاصدهم ، وطبيعي بعد هذه التجارب المؤلمة ان تستيقظ العقول وتتمسك العرب بقضيتهم ويوحدوا كلمتهم ويعلموا ان لا خلاص لهم الا بالثبات والتضحية ودوام المطالبة والجهاد .

(خامساً) — ادراك الناس للمداورات التي تتعمدها السلطة الفرنسية للتفرقة بين البلاد والتغرير بالسذج ، وخداع الاقليات باسم الحماية ومنع التعدي وتوزيع العدل ، وما هي الا للتسلط والافساد وايقاع الشقاق لاضعاف قوة الحركة .

(سادساً) — تنظيم صفوف المقاومة وقيام (الهيئة) الوطنية الشعبية وحدها بامر القيادة والدفاع ؛ وبوجودها ذاب حزب العمال وحزب الاتحاد وحزب الوجوه وحزب الميثاق وحزب الشعب ، واتجه الناس نحو زعمائهم والتفوا حولهم .

(سابعاً) — تزاحم الدول على النفوذ ، واضطراب التوازن الدولي في البحر المتوسط وهو من مصلحة سورية والعرب .

(ثامناً) — الزيادة العظيمة في نفقات الحكومة الفرنسية على الانتداب وعلى تأييد مركزها ، وهذا اما اثقل خزانتها واعيا مكلفها .

(تاسعاً) — اقتناع الحكومة الفرنسية بان استعمار سورية كما تكهن العسكريون ليس بالامر السهل بل كاد يكون من المستحيل والظاهر ان العسكريين ليس لهم سابق

خبرة ولا صادق استنباط .

وعليه فان انتهت الثورة بادراك الفرنسيين هذه الحقائق واقتنعوا بضرورة الرجوع عن اساليبهم الاستعمارية واقدموا على عقد معاهدة تحقق اماني البلاد ، فان كل ما خسرنا يعوض ونقول بما قال ابن حزم :

(كل مصيبة تصيبني في مدرسة الدهر ان لم تقتلني فهي لي قوة جديدة) !!! .



الفصل السادس

الميثاق الاعلى — او الميثاق الوطني

من الثابت ان الانسان اجتماعي بالطبع ، (اي بالغريزة) فلا غرو اذا نشأ محباً للجماعة ومتمسكا بالوطن وميالا للحرية وساعياً للاستقلال ، ومن المقرر اننا نشعر بمفعول الغرائز والعواطف والارادة والعقل ، ونوجه اعمالنا واهدافنا حسب وحيها وتأثيرها لانها تؤلف ذاتيتنا ، وبها وباجتماعيتنا وعلاقاتها المشتركة تؤلف حياتنا ، والحياة قوتها وقيمتها مالانسان من وراثة واستعدادوميلوتربية وعلم يوجه تلك الغرائز والعواطف نحو الغاية الاجتماعية التي بها بقاء الجماعة وصلاح النسل .

والانسان مها كانت فرديته او اجتماعيته يحتاج الى مثل اعلى يقتدى به او وجهة يتولاها فان انصرفت فعاليته الذاتية الى الانانية الفردية والمطامع الذاتية والغرائز البهيمية خنع اليها وتبعها منقاداً لتأثيرها وسطوتها فتقل قيمته ويغدو صنفا من الناس لايفهم من الحياة الا ما يفهمه الحيوان من حياتهوملذاته ، ولا يكترث بالغير ولا بالجماعة التيبوجودها وتضامنها ينشأ الوطن وتعرف الوطنية .

وان انصرفت فعاليته الذاتية الى التضحية والنفع العام والمصلحة الوطنية والخير الانساني سار في طريقه الاجتماعي واتبع العقل واحكامه وغدا صنفا آخر من الناس يفهم من الحياة مصلحة امته واستقلال وطنه وحرية بلاده ، ويعلم ان قوة الناس في اداءواجبهم وتضامنهم ودفاع بعضهم عن بعض ، وفي اتيان كل عمل يقصد منه انهاض الامة وتحريرها وحفظ حقها .

واما المثل الاعلى (ولابد منه ليكون القدوة الصالحة للافراد والجماعات) فيختلف باختلاف العناصر الموجدة له ، ويختلف علوا وعمقاً واتساعا ، بمقدار العلم والتربية ونسبة الاستعداد والوراثة ، وشأنه في كل حال ان يحتل مراكز الفكر ، وبطينات القلب ،

وقرارات النفس ، ويجعل في كل منها قوة دافعة (ديناميئية) دائمة الحركة تدفع الغرائز وتسوق العواطف وتولد الافكار وتوجد الاعمال .

والخلاصة : ان لكل انسان مثله الاعلى ، ولكل مثل وجهة وغاية ، والانسان قد تتعدد امياله وتتعدد اعماله وتتعدد افكاره ، فتتعدد بنسبتها مثله العليا ووجهاتها وغاياتها ، وعندما يثبت المثل الاعلى وتثبت الارادة من ورائه يرسم الميثاق الذي يحدد المقاصد والخطط ويضع الحدود لكل غاية ويوجه الانسان الى العمل ، وعلى هذا فاننا بحكم الحياة نلعب ونلهو وندري ونتعلم ونتزوج ونؤسس ونجرب ما في الدنيا من اعمال ومهن ، ويكون لكل منها في قلوبنا مثل اعلى يجتذبه ، ونحب ونعاشر ولكل منهما في نفوسنا مثل اعلى يميزنا ويهدينا الى المراد ، ونجاهد ونحارب ونحتمل الآلام وتذوق العذاب ونتمتع باللذات ولكل منها مثل اعلى يحتل عواطفنا ومشاعرنا ويسيرنا كما يشاء .

ومن المؤكد اننا لانستطيع تحمل ثقل الحياة ولا تطبيق فن الحياة ولا العمل لاجل السعادة في الحياة بدون مثل عليا تحبب الينا الالم وتولد فينا الرغبة وتخلق الاقدام والشجاعة ، ولذا فكل ما يقال عن مزايا الرجل او المرأة من قوة وصبر وتضحية ووطنية وكرامة وتحمل ، فمرده الى المثل العليا ، اما كيفية نشوئها ووجودها فنوضحه بمثال يقرب لنا فهم المراد منها .

كلنا يحب ! وكلنا يهوى الجمال ! اليس هذا هو الواقع ؟ ومن هو الانسان الذي لايحب او لم يعرف قلبه الحب ، ومن هو الرجل الذي له قلب خلو من الجمال او من صورة للجمال؟ وهل يوجد حب بلا صورة للجمال المطلوب او بلا صورة لجمال الحبيب ؟ .

اذاً بم يتغزل الشعراء ؟ وبماذا يتلذذ المتفننون ؟ وهل الفن الا تذوق الجمال حتى في الالم واللذة ؟ .

واذا تساءلنا ما هو الحب وما هو الجمال ، فبماذا نجيب ؟ .

الجواب : ان كل ما يقال عن الحب والجمال ومثلها العليا وما يقال عن آلام الحب والجمال ولذاتها سببه طبيعة الحياة وطبيعة الغرائز الجنسية التي توحي بالصور والاشكال

والمناظر والاصوات والالوان والروائح والالفاظ والمعاني والتشبيهات والاستعارات، وتمثلها وتجسمها سواء اكانت ادبا او شعرا او نحتا او رسما او نغما، ام كانت حقيقة واختباراً وحادثات، اشباعا لما في قرارات النفس من عواطف وميول ودوافع تسببها الجنسية المذكورة تأميناً للبقاء واجابة لهوى النفس وحاجة الغريزة.

وعليه، نستطيع ان نقول ان الحب واحد، والميل دائم، وهوى النفس باق لايزول والاشباع حاجة طبيعية، والتلذذ كالالم يدعو الى دوام الشعور والحس، وبهما دوام الحركة والعمل، ومن هذه الامور ترسم الصور والالوان والخيالات والاشكال والتجارب في المخيلة، ومن هذه يوجد الانسان مثله الاعلى حتى اذا تراءى له في اي كائن كان او في اي مكان كان او في اي عمل من الاعمال تعشقه، واحبه، وادعاه، وافرغ عليه الجمال وعاش معه وبوحيه وهواه.

وبعد، فقد رأيت ايها القارئ كيف تنشئ الطبيعة المثل الاعلى، وفهمت عناصره وكيفية تكوينه، وعلمت علاقة المثل العليا بحياة المرء وغرائزه وميوله.

ذكرت ان المثل العليا على انواع ووجوه، وهذا حق، واضيف اليه ان قيمة المثل بقيمة عناصره، وعناصره بقيمة قوته الكامنة، وقوته بقيمة ما فيها من اهداف ودوافع وغايات تنشأ وترتفع وتنتج وتتكامل، وتضمن الحياة والعادة، وتتلاءم مع سنن النشوء والارتقاء.

ونحن، وان ضربنا المثل بالجمال واتخذناه مداراً للتحليل والافهام، فالمقصود ان تعلم ان المثاليين والمتفننين والموسيقيين وكل ذي صنعة ومهنة، لا يخلون من مثل عليا انشئوها او نشأت فيهم بذات الطريقة، ثم ابرزوها مجسمة في تماثيلهم، او صوروها ونجتوها في معزوفاتهم، او وصفوها في اشعارهم، او رعوها في رسومهم، او مثلوها في هندستهم وصناعاتهم، ومثلهم ارباب السياسة ورجال القلم وحملة السيف واساتذة الطب والمحاماة والعلم، فهؤلاء مثلهم العليا يتبعونها ويمتازون بقوتها وجلالها، وقل ذلك عن رجال الدعوة ورجال القيادة واصحاب الحركات الاصلاحية والانقلابية، فان لهم مثلا عليا انشأتها

معارفهم وتجاربهم واذواقهم واميالهم والهاماتهم واستعدادهم الفطري ورغبتهم وشعورهم بما توجبه عليهم .

ويتجلى لنا — برهانا على ما تقدم — ان دعوة موسى (ص) قومه الخلاص من عبودية المصريين واسرهم وخروجه معهم من مصر الى ارض كنعان سعياً وراء الحرية والاستقلال ، وقيادته اياهم في التيه باحثا عن ارض يستقرون فيها ، صدرت ولا شك عن مثل اعلى نشأ في نفسه بعدما رأى قومه وما هم عليه من استعباد وذل وشقاء ، فثارت غرائزه ومشاعره وروحه ، وقام بواجبه بدافع الحب وقوة المثل الاعلى .

وان محمداً (ص) كان له من المثل العليا ما كان لمن تقدمه من موسى وعيسى وغيرهما من انبياء الله اذ رأى قومه في جهالة وتأخر وان جزيرتهم مستعمرة للاحباش والرومان والفرس ، ورأى ما في العالم عامة والعرب خاصة من تنازع وانحطاط وفساد وخضوع للقوة وللامراء والملوك المستبدين ، ورأى ما يجب عمله لخلاصهم وهدايتهم واسعادهم ، فقام بثورته الدينية واصلاحاته القومية والتشريعية ونفذ خططه الاجتماعية والسياسية اتباعا للوحي الذي استمده من مثله الاعلى ، فبدل حياة الامم واصلح نظام المجتمع ، ومكن العرب من حمل مشعلين اضاءوا بهما سبل المدنية والتقدم : مشعل من العدل والعلم والحرية ، ومشعل من الاخوة والمساواة والحضارة ، فسارت بهما رسله ومن تبعه من الخلفاء ومن اهتدى بهديه الى الشعوب والاقوام لتحريرهم وتبليغهم الرسالة ، ووهبوا لهم حرياتهم الطبيعية : حرية العقيدة ، والفكر ، والعمل ، ونشروا تعاليمهم ومبادئهم واستخرجوا كنوز المعرفة ودرسوها انى وجدوها ، ولم يبخسوا امة حقها من الجهاد الفكري والانتاج العلمي ، فكان هديه صلاحا ، وكانت سيرته نبراساً ، وكان خلفاؤه ورسله ومن تبعهم خير من قضوا في المصالح وعلموا الحق وحكموا بالعدل ، ولذا قال احد العلماء الغربيين : (لم ير العالم فاتحا اعدل ولا ارحم من العرب) .

وما كان جهاده المقدس ليثمر هذه الثمرة الطيبة الصالحة فتقلب وجه العالم ، وتبدل حياة الامم ، وتصلح نظام المجتمع ، وما كانت ثورته العالمية لتنتج هذا الاصلاح العالمي

وتوجد هذه الشريعة الغراء وما فيها من احكام قد حققت الحق والعدل ، لولا مثله الاعلى الذي استلهمه من كمال ربه وجلاله ووحدانيته وجماله ، واستوحاه من تأملاته الذاتية العميقة ، ومن بصيرته النافذة في اعماق الحقيقة والطبيعة وانشأ عناصره من تجاربه في الحياة وسياسة الناس ومن فكره الصافي المنزه عن كل نزعة شيطانية ومن ضميره الطاهر المحب للحق والخير والعدل والرحمة ، ومن نشأته السامية النبيلة رغم ما احاط بها من يتم وفقر وحرمان ، ومن خلقه : خلق البطولة والمروءة والوفاء .

ولما استحوذ المثل الاعلى على قلبه ولبه ، وجاءه الوحي من ربه ، قويت عزيمته ، واشتدت شكيمته ، وسما ايمانه ، فقام بالدعوة والجهاد دون تردد ولا وجل ولا رهبة ، جامعا ما تفرق من امر العرب ، مطهراً للنفس والجسم من ادران الجاهلية ، هادما ما في المجتمع من ضلال وفساد آمرا بما فيه النفع والصلاح للعباد .

انتشرت تعاليمه بسرعة البرق ، وتغيرت نفوس القوم كأنهم خلق جديد وغيرهم بالامس ، وغدت الجزيرة مبعث القوة والاتحاد ، ومنار النور والهداية ، بعد ما كانت موطن الجهالة والخصام ، وافاض نورها على العالمين فأنارت بصائرهم واحيت قلوبهم واسعدت نفوسهم وتم للرسول ما اراد .

ولو تتبعنا سيرة بقية الانبياء وتاريخ سواهم من العظماء والحكماء والفلاسفة والعلماء والمصلحين لتأيد عندنا بالدليل ان لكل منهم مثله الاعلى وهو سبب نجاحه وباعث نبوغه وملهمه العمل لخدمة امته .

وهل يعقل ان الاسكندر المكدوني ودارا الفارسي وهانيبال القارطاجني وبسمارك الالماني ونابوليون الفرنسي وكرومبل الانكليزي وواشنطون الامريكي وكولومبوس الاسبانيولي ، ومثلهم الفاتح العثماني وخلفه ياووز اي السلطان سليم الثاني وقبلهما معاوية الاموي وموسى بن نصير فاتح المغرب والرشيد العباسي وابنه المأمون وجده محمد السفاح وسيف الدولة الحمداني وصلاح الدين الايوبي والمعز لدين الله الفاطمي ، لم يكن لكل مثل عليا في حكمهم وملكهم وغزواتهم واعمالهم ، وهل يجوز القول ايضاً بأن سوقراط

وافلاطون وارسطو وجالينوس وفيثاغورس من فلاسفة اليونان وحكمائها وابن سينا وابن الرشد والفارابي والبيروني والرازي وابن هيثم والغزالي وابن البيطار وابن جابر والمعري والمتنبي وابي فراس من فلاسفة العرب وحكمائهم واطبائهم وشعرائهم وفولتير وجان جاك روسو وباسكال وكانت وشيلي وغوته وغاليلي ونيوتون وداروين وطوسون وشكسبير وديكنز وكارليل ، وامثالهم من فلاسفة الغرب وعلمائه وادبائه وغيرهم من كل الملل والنحل ، ليس لهم مثل عليا ساقتهم الى البحث والتنقيب والجد وانتاج ما انتجوه لخدمة العلم والمجتمع والعمران ؟ .

لالا لعمري ! لايجوز القول بالنفي والشك ، فلولاهم ولولا مثلهم العليا ما قطفنا ثمارهم ، ولا لمسنا عزمهم وثباتهم ، ولا علمنا تفانيهم وجهادهم ، ولا فهمنا حقيقة الغوامض ومعرفة الحقائق ، لا جرم ان وجود المثل العليا ضروري لاستكمال حاجات العقل واسباب الحياة والتقدم ، ولبناء المجتمع واحكام الصلات والعلاقات والروابط بين الافراد والامم ولضبط الاميال والغرائز وقيادتها لخير النفس والجسم ، فهل لدعاة الوطنية والاستقلال وزعماء الحركات التطورية ورجال الاصلاح في سورية وبلاد العرب مثل اعلى او مثل عليا تشرح اهدافهم وغاياتهم ؟ وهل لهم ميثاق وطني يدل على تصميمهم وعملهم لتحرير الامة وانشاء الوطن الحر المرجو لها ولكل من ولدته امه عربياً حراً ؟ وهل هذا المثل الاعلى وهذا الميثاق الوطني يضمنان ايضاً ما ذكر من حاجات ، واسباب ، وقيادة ؟

ما هو مثلهم الاعلى ، وما هو ميثاقهم ؟

اني اعتقد ان لكل منهم مثله وميثاقه ، وعند تحري عناصر المثل وعناصر الميثاق نجد لهم ايضاً مثلا مشتركا وميثاقا وطنياً واحداً يجمعهم ويوحدهم .

ما هي عناصر المثل الاعلى وما هي عناصر الميثاق الوطني ؟

ان السوريين ولا شك ، عرب قبل كل شيء : عرب باللغة ، والتاريخ ، والوطن ، والعادات والشعور ، والحكم ، والدم ، لان اكثريتهم من بقايا سلالات عربية ، واقليتهم من سلالات سامية تعربت .

وبما ان لسان السوريين عربي ، والآداب السائدة فيهم ، والتقاليد المتبعة بينهم ، والذهنية المتحكمة في اكثر شؤونهم هي عربية لم يبق تردد في قبول عروبة السوريين ، وعروبة سكان الجزيرة على اختلاف اقطارهـا وتباين مللها ونحلها ، والعروبة بهذه المقومات عنصر قوي من عناصر المثل الاعلى ومن منشئات الوطن وميثاقه .

ومما لا ينكر ان العلاقات الاهلية والروابط التاريخية والمنافع الاقتصادية والوحدة الجغرافية ، كانت ولا تزال قوية ومستمرة بين سكان البلاد العربية ، ولا تزال عاملا انشائيا وناميا لتثبيت القومية وتغذية الشعور وايجاد النهضه والمشاركة في انشاء الوطنية الحقة ، وان من كانت روابطهم وعلاقاتهم (على ما ذكر) قائمة بحكم الضرورة والطبيعة وبحكم التاريخ والثقافة وبحكم المصالح والمنافع ، وكان ادبهم ادب القرآن والحديث ، وادب الخلفاء والامويين والعباسيين ، وادب العلماء والفلاسفة والشعراء المخلدين ، لابد ان يجد كل متعلم من ابنائهم ما يحتاج اليه من العناصر المادية والمعنوية لانشاء ميثاقه ومثله الاعلى لان هذا التاريخ والثقافة والحضارة عنصر من عناصر الانشاء وقوة من قوى الوطن وباعث من بواعث الجهاد .

ويجب ان لاننسي هذه التربة وثرواتها وما اقام فوقها الآباء من مدن وبيوت ومعاهد ومعابد ، ومعامل وعواصم ومؤسسات وقرى وحصون ، وما اراقوه من دماء في سبيلها ، وما كان لخلفاء العرب وقادتهم وجنودهم وملوكهم وفتوحاتهم وعمرانهم من تراث واعمال فهي عنصر آخر من عناصر المثل العليا والميثاق الوطني .

وبعد ثبوت العروبة وثبوت الروابط وثبوت الثقـافة والتاريخ ، وبعد وجود الضرورات الطبيعية والمصالح الاجتماعية والاقتصادية ، يجب ان نأخذ بعين الاعتبـار الطبيعة البشرية ، وطبيعة المجتمع وما للعلم من تأثير ، ويجب ان نضيف اليه المخالطة والاحتكاك وتأثيرهما في الامم ، والاتصال وفعله بافرادها فذلك من عناصر المثل الاعلى ومن منشئات الميثاق الوطني .

وبجانب ما ذكر من العناصر نستطيع ان نذكر محاولة الاجنبي لفتح البلاد واستعمارها

واستعباد اهلها ، فهي من بواعث المقاومة والوطنية ، ومن موجبات رد الفعل وموجدات القوة والحركة ، ولذا تعد عنصراً عاملاً في انشاء المثل الاعلى والميثاق الوطني .

وسببه ان طبيعة الفكر الانساني اذا طرأ عليها عارض خارجي احدثت رد الفعل في العقل ونبه قواه للتفكر والتدبر والاحتياط لما يحدث ، واهتزت النفس بمجموعها للعارض فدفعت الجسم الى العمل والمقاومة ، فاذا نظرنا الى ما للامة من مقومات وذكرنا ما سبق من عدوان عليها وما اصابها قبل الحرب العامة وبعدها من مظالم تحقق لدينا ان رد الفعل حاصل وان التنبه موجود وان المقاومة سائرة في طريقها ، وان جميع العناصر اللازمة لانشاء المثل الاعلى تعمل عملها وتنشيء خطوطها ومتى وجد المثل الاعلى في القلوب وجد الميثاق وتحقق بالعمل والقوة .

ان العرب في مثلهم الاعلى ينشدون الاستقلال والحرية ، ينشدونها كوسيلة للنهوض وتأسيس (الكيان) ينشدونهما لبناء حضارة زاهرة يتمتعون بنعمها ويسعدون بظلالها كما كانت عليه مدنيتهم في عصورهم الذهبية ايام معاويه والرشيد والوليد والمأمون ، وكما كان عليه آباؤهم في علمهم وتجارتهم وصناعتهم وقوتهم ، يريدون ان يتبوأوا مكانتهم بين الدول لخدمة العالم وخدمة الحضارة ، يريدون ان يتعلموا ويبنوا ويؤسسوا وينهضوا .

اليس من حقهم اظهار مواهبهم ؟ اليس من حقهم استثمار خيرات بلادهم ؟ اليس من حقهم ان يعيشوا احراراً في بلادهم ؟ وهل يعارض هدفهم هدف الامم دعاة المدنية وطلاب السلام او يتصادم الهدفان وتتخالف الغرضان .

دعوا لهم الفرصة الكافية ، ساعدوهم على تخطي العقبات ، كونوا لهم مخلصين في مساعدتكم فان نجحوا — وهم قانعون بالنجاح — استفادوا وافادوا العالم ، ومن حق الحياة ان تفيد وتستفيد وان تعيش وتترك مجالا لغيرك ان يعيش .

اما الميثاق الوطني ، فان زعماء المجاهدون لم يقرروا حتى الآن مواده النهائية لان الاحوال السياسية والاضطهادات والتشريد والمنافي ابعدت معظمهم عن الديار ومنعتهم من تقرير ما يريدون ، كما انها لم تساعد على تأليف هيئة مسؤولة تضع الميثاق وتعمل على تنفيذه .

ان الميثاق لا يصح ان يفرض على الامة ما لم يكن صادراً عن ارادتها ومعبراً عن رغباتها وامانيها ؟ ولا يعبر عن ارادة الامة من لم يكن منتخباً شرعياً من قبلها ؟ .

لو اعطيت الحرية لانتخبت ممثليها ومنحتهم ثقتها فاجتمعوا وقرروا الميثاق وقادوا الشعب الى تنفيذه وبما ان هذه الرغبة لم تتحقق ولن تتحقق بوجود الفرنسيين ،استخلص من جميع المذكرات التي قدمتها الوفود الرسمية الشعبية الى ممثلي السلطة الفرنسية والى دول الغرب ما يصح ان يتخذ اساساً للميثاق الوطني :

(الاول) — السلطان القومي للسوريين ومعناه الاستقلال والسيادة ، فيحكم السوريون بلادهم بذاتهم ويديرون شؤونها ومصالحها بواسطة نوابهم وحكومتهم الشعبية الدستورية التي يختارونها ، ويضعون القوانين والانظمة بواسطة مجلسهم النيابي الممثل الشرعي لهم ، ويدافعون عن حدود وطنهم بجيشهم .

(الثاني) — الوحدة السورية لجميع الاجزاء التي تتألف منها سورية جغرافيا واقتصاديا.

(الثالث) — ربط الاجزاء السورية التي تؤلف وحدة الوطن بنظام لامركزي خاص كما قرره المؤتمر السوري في عام ١٩١٩ .

(الرابع) — اتخاذ علم واحد للبلاد السورية وجعل اللغة العربية وحدها لغة الدولة والحكومة .

(الخامس) — جعل الحكومة دستورية يرأسها من تنتخبه الامة .

(السادس) — تحديد العلاقات السياسية والاقتصادية مع فرنسة بمعاهدة لمدة معينة لاتمس سيادة الدولة واستقلالها .

(السابع) — وضع دستور اساسي لادارة البلاد من قبل مجلس تأسيسي تنتخبه الامة انتخاباً حراً .

(الثامن) — الغاء الامتيازات الاجنبية واصلاح القوانين والقضاء .

(التاسع) — الغاء جميع القرارات والانظمة التي وضعت ايام الانتداب وبخاصة ما يضر بمصالح البلاد او يمس كرامة الامة ووحدتها وحريتها وسيادتها .

(العاشر) — منع الهجرة الى البلاد .

(الحادي عشر) — ادخال سورية في عصبة الامم .

(الثاني عشر) — الغاء السياسة الطائفية وجعل القومية والكفاءة هما الاساس .

هذه هي المواد التي وجدتها تمثل ما ورد في المذكرات وتمثل اماني البلاد ، اما اسبابها الموجبة فلا اريد الدخول في تفصيلها ، وللقارئ ان يراجع مذكرات الوفود فهي تفي بالمرام .



الفصل السابع

ذهنية الفرنسيين واستعمارهم

لا ينكر احد معرفة الفرنسيين بالسياسة ، ولا يستطيع ان ينكر عليهم حبهم للاستعمار ولا معرفتهم للحوادث التي تقع في سورية ، وما هي اهدافها ! كما اننا لا نجهل مقاصدهم من الانتداب ، ولا غاياتهم التي يحرصون عليها من ورائه ، كيف لا يستطيعون فهم الامور ومعرفة الحوادث ، ولديهم في سورية دوائر التحري والاستطلاعات وعندهم المال الوافي والرجال المأجورون .

الم ينفقوا الملايين من الاموال في سبيل استعمارهم ؟ الم يضحوا بالالوف من الجنود لاثبات وجودهم وتثبيت اقدامهم ؟ اليسوا هم من دولة نفوسها تعد اربعين مايوناً ، ومن كان لديه المال والرجال والدوائر والمعدات والوسائل ولا يفهم الحقائق فبشره بسوء المصير .

اننا لا ننكر عليهم ما هم عليه ، ولكننا نقر ويقر معنا الذين اختبروهم وعاملوهم ودرسوا طبائعهم واخلاقهم هنا وفي بلادهم وفي مستعمراتهم ، كما فعلنا نحن منذ دخولهم بلادنا الى الآن ، بان الفرنسيين في بلادهم غير الفرنسيين في مستعمراتهم ، ومعنى هذا ان ذهنيتهم في فرنسة غير ذهنيتهم في سورية والجزائر ومراكش وتونس والسنغال ، انهم في فرنسة يحبون الديموقراطية ويدافعون عن الحرية وحقوق الانسان وينصرون العلم والعلماء ويتبعون القانون ويخضعون للنظام والقضاء ويحترمون حقوق الغير ويهتمون بالمؤاساة واعمال البر ، اما في مستعمراتهم فيعكسون سيرتهم ويجرون مع الاذى ويتبعون الهوى وينظرون الى السكان نظر السيد الى عبيده ويشذون عن الاصول في تصرفاتهم ، ويغلظون للناس في اقوالهم ويسيئون اليهم في معاملاتهم ويضطهدون الحرية والاحرار ، لا يحترمون قوانين البلاد ولا عاداتها ، ويخالفون

الانظمة السائدة واذا احسنوا الى البلاد بعمران او ابنية او طرق او مؤسسات ، فاحسانهم الى العسكرية ومؤسساتها واهدافها الاستعمارية واذا بذلوا الاموال فلاستصفاء ما بيد الاهلين من اقوات وثروات يملأون بها جيوبهم ويشبعون بها مطامعهم ، واذا قاومهم من لا يحتمل ظلمهم وجورهم ومن لا يجد الحق والعدل في وجودهم عاملوه معاملة العدو ، وعدوا مقاومته وحرية فكره خروجا على الطاعة ، فشردوه او سجنوه او اضطهدوه او تعمدوا قتله وضبطوا امواله ، وشتتوا عياله .

واذا اشتكى احد الى مقاماتهم العالية من سوء معاملة حكامهم او ممثليهم لاتسمع دعواه ولا شكايته والمستغرب ان القضاء لايحاكم موظفاً فرنسياً ولا يسمع شكاية على المفوض السامي ولا على مندوبيه ولا على الرجال العسكريين ، ولا يجوز لصحيفة ان تكتب عن مظالمهم او عن اعمالهم او ما يمس كرامتهم ، او بذكر الحقيقة عنهم وعن استعمارهم ، وان فعلت حوكم صاحبها وحبس وغرم !!! .

ومن مساويهم وغرائب طبائعهم انهم لايحلون مشكلة تقوم بينهم وبين البلاد المحتلة بطريق الدرس والفهم والتحكيم لانصاف المشتكين وازالة الظلم ، يعتمدون في حكمهم وسياستهم على : (فرق تسد) ولا يهمهم انهاض الشعب ولا ترقيته ولا الاخذ بيده خوف ان يقوى عليهم فيخرجهم من بلاده ، ولا يحبون ان يروا شعبا استقل عن يدهم او ناضل عن استقلاله .

يحتقرون آداب الغير ولا يقرون لاحد بفضل ، كأنهم في ادابهم وفضلهم واخلاقهم اشباه الملائكة او الانسان الكامل !!همهم في عمرانهم وتمدنهم افساد المقومات القومية ومحاربة الروح الوطنية وخلق روح الخنوع والاستسلام .

يتباعدون عن ذوي المكانة السامية والعقول الراجحة والمبادي الصادقة ، ويتقربون الى الاصاغر ويعلمونهم كل مفسدة ويستعملونهم في كل غاية دنيئة ، لايعدلون في احكامهم ولا يتمسكون بحق القضاء ويزدرون من لم يكن فرنسيا ، ويفضلون ابناءهم الجهلة على من يفوقهم من السوريين ، فما احمقهم وما اخبثهم !!! .

يستبيحون القتل لأتفه الامور ويسخرون المحاكم لقضاء وطرهم وتبرير اعمالهم ، ويفرضون الغرامات والضرائب للانتقام والتنكيل والافقار ، ويأخذون بالشبهة ، ولا يعتدون بالآداب والمعتقدات ما وجدوا الى ذلك سبيلا .

ومن عجيب منطقهم انهم يحاربون (الاكليروس) في بلادهم لما له من التأثير في افساد مجتمعهم وتسخير الشعب لمطامعه وغاياته ، ويؤيدونه في بلادنا لخدمتهم ، ويحاربون التجسس والجواسيس وغير المرغوب في وجودهم ومن له علاقة بالاجانب صيانة لاستقلالهم ودفاعا عن مبادئهم ثم هم انفسهم يشجعونهم في بلادنا ليفسدوا وحدتنا وجنسيتنا واخلاقنا ولا اغالي اذا حدثتك عما يأتونه في هذا السبيل من اعمال تكاد تكون كالروايات الخيالية او الاحاديث الخرافية ، كالايقاع بالابرياء بشتى الحيل والفتن للانتقام من وطنيتهم ومن اخلاصهم لامتهم وبلادهم ، وكضبط اموال من يأبى اتباع سياستهم كما فعلوا ايام الاحتلال وكنهبهم القرى واباحة بيوتها لجيشهم ، وكبذرهم بذور الطائفية وجعلها وحدات مستقلة تفكيكا لعرى الوحدة القومية وكاظهارهم الحماية والعطف على رجال المذاهب واعطائهم الاموال والاعانات قصد استمالتهم وتسخيرهم لمقاصدهم .

يدعون غيرتهم على العلم وخدمة الوطن ، ولكنهم اخرجوا دفائن آبائنا باسم علم الآثار ثم ارسلوها الى متاحفهم ، وما ابقوه لنا غيض من فيض ، ثم شوهوا ما لنا من المآثر بتحويل اسمائها او بتشويهها ، واقاموا مباني خالية من الذوق السليم والشعور الفني كأنهم اصروا ان يجعلوا من آثارنا معرضا لتجاربهم واذواقهم لا متحفا للفن والحقيقة والعلم .

ويدعون انهم انفقوا الاموال الطائلة على انتدابهم ، ولكن هل تدري على اي شيء انفقوها ، ولماذا انفقوها ؟ انهم انفقوها على العتاد والمعدات الحربية وشراء الضمائر ، وعلى التجسس واستمالة القبائل ومقاومة الوطنيين وقمع الثورات ، وعلى املاء جيوبهم ، وفي كل ما انفقوه وقيدوه كان سوء الاستعمال والنهب والتبذير اساساً لابد منه ولا غنى عنه انفقوها على الجنود التي جاؤا بها من السنغال والجزائر ومراكش ليفتحوا البلاد ويقمعوا الثورات ، سلوهم لماذا جاءوا الينا ولم يطلبهم احد ، ولماذا ثرنا عليهم وقلوبنا تكرههم؟!.

ماذا تقول عن قتلهم (٣٠٠) جندي من الاسرى رميا بالرصاص . قتلهم القومندان (ارلابوس) بعد واقعة ميسلون وبعد ان استسلموا بسلاحهم ودون ان يحاكمهم ؟ وماذا نعد عملهم مع احمد آغا الحسين من تلكلخ؟ استسلم اليهم واستوثق منهم وفدى نفسه بالمال ، فاماتوه ثاني يوم شنقا على باب داره ؟ وماذا تقول عن الكولونيل ده بوفر وقتله ٨٦ شخصاً من الفلاحين نقض عليهم بيوتهم فماتوا تحت التراب ؟ وبماذا نصف عمله الوحشي سنة ١٩٢٢ اذ رمى من اكثر من ٥٠٠ شخص بالرصاص جمعهم وهم اطفال وعجز ونساء وامر جنوده بقتلهم ، فقتلوهم لان سبعة من قبيلتهم (ابو صليب) من عشائر دير الزور تصدوا لضباط فرنسيين وتبادلوا اطلاق الرصاص فقتل الضباط ، ولم يكتف بقتل الفاعلين بل قتل ذوي قرباهم وعشيرتهم واستباح اموالهم وحلى نسائهم ؟ وهل يجوز ان يقتص من البريء بذنب المجرم ؟ وماذا تقول عن قتل الابرياء الذين يشتبه بهم ضباط الاستخبارات في ادلب وحارم والجسر ، فيقتلونهم رمياً بالرصاص دون محاكمة ؟ .

وهل ننسى كيف قتل العسكر الفرنسي الطبيب (صالح قنباز) رمياً بالرصاص وقد خرج من داره يريد مداواة الجرحى في اثناء اضطرابات حماه ؟ وما افظع الحوادث التي وقعت في اثناء ثورة الغوطة وما جاورها اذ قتل الفرنسيون اكثر من الفي شخص رمياً بالقذائف ورجماً بالاحجار .

أليس من الوحشية والبربرية ان يمثلوا باجسامهم ويسحبوها في الشوارع وهم ابرياء ، وبينهم من قبضوا عليه وهو في محرابه يتعبد ومنهم من لا يزال وراء الامام يصلي ، وقتلوا من الامهات من كان ولدها على ثديها ، ومن كانت حاملة او في خدرها او في مطبخها !! .

هذا القومندان (بيجان) يمثل مدنية الفرنسيين وشعورهم الانساني ، فيقتل بمسدسه الموقوفين في السجن من الفلاحين الابرياء الذين يقبض العسكر عليهم في اثناء خروجهم الى ظاهر المدينة لتعقيب الثوار ، وكثيراً ما يعمد الى تعذيبهم تعذيباً نكراً فتارة بالكي ، وطوراً بالمسامير ، واخرى بتسليط الكلاب الجارحة على اعضاء المتهمين ، وبرش الماء الكاوي ، وبتعريض الاجسام للشمس والنار وغيرها ، ويستمر على عمله حتى

يموت الموقوف .

وهل ننسى قتل العسكر الفرنسي سنة ١٩٢٥ في واقعة حلب (٣٢) شخصاً رمياً بالرصاص لانهم تجمهروا وارادوا اظهار استيائهم من توقيف زعمائهم فقابلهم العسكر بالمتراليوز فأردوهم وتركوهم صرعى امام قصر الحكومة .

وفي قرى بعلبك وحماه وحاصبيا ومرجعيون وراشيا بلغت الضحايا آلاف النفوس عدا الاموال والبيوت والحيوانات التي هدرت واتلفت ، ولا يزال في سجون الفرنسيين ابرياء مضت عليهم الاشهر والسنون يقاسون عذاب السجن وظلماته وآلامه ولا سائل عنهم .

وكم حكم على اناس بالقتل او التشريد او النفي او التعذيب والسجن لمجرد وشاية جاسوس او انتقام عدو او امر مستشار ، وكم من اشخاص اجبروا على الاقامة الجبرية ضمن القلاع لتهم سياسية نقلها الواشون ولفقها المغرضون ، فاين الرحمة واين العدالة ؟!!.

وماذا يقول المنصف عن الفرنسيين وهم منذ ست سنوات يكتبون في تقاريرهم الى عصبة الامم ان البلاد السورية في بحبوحة ورخاء ، والناس راضون عنهم وعن سياستهم ؟ .

يتقولون علينا هذه الاقاويل ويفترون الاكاذيب التي يسخر منها الصغار ويعلم حقيقتها الكبار ، ولا يستحون من الواقع ولا من التاريخ .

اين الرخاء ؟ واين الراضون عن سياستهم وانتدابهم ؟ واين الامن المستتب ، والازمات مستحكمة والشعب ثائر والظلم عام ؟!!.

لماذا يتحاشون عن الدراسات الصحيحة ؟ ولماذا لا يرسلون العقلاء الذين يستطيعون معرفة الحقائق ؟ ولماذا يخفون سوء اعمالهم وسياستهم ؟ ولماذا اذا عرفوا شيئاً شوهوا حقيقته ؟ .

الم نعلم سبب الثورات ؟ الم نعلم كيف يسوسون البلاد ؟ الم نعلم مظالمهم النمرودية ؟ اليس تجزئتهم البلاد ليسهل عليهم الحكم والاستعمار ؟ اليس منعهم الحريات الطبيعية التي

اقرتها دساتير الامم هو لقتل كل حركة قومية غايتها تحرير الوطن والخلاص من سيطرتهم؟ اليس حكمهم المباشر الذي لا يتقيد بقانون ولا تعهد بقصد منه ترويج دعاياتهم وتنفيذ غاياتهم ولو كرههم اهل البلاد قاطبة ؟ اليسوا هم المحرضون على الطائفية وهي شر مايبتلى به الوطن الواحد والامة الواحدة ؟ .

لماذا يستصفون الاموال ويختلقون الاعذار ؟ لماذا يشترون الضمائر والصحف لتقف بجانبهم اذا كان حكمهم عادلا ووجودهم رحمة ؟ .

لماذا تحكم محاكمهم لمصالحهم ومصلحة الاجنبي ولا تنصف بينه وبين السوري وان كان حق السوري لاريب فيه ولماذا يحقرون السوري اذا لم يعرف لغتهم الفرنجية ،ويردون طلب الطالب اذا كان عربيا ؟ ولماذا لايتعلم حكامهم وموظفوهم العربية ولو مكثوا السنين الطوال ليفهموا روحية الشعب ويسمعوا شكواه دون تراجمة يحرفون الكلم ويضيعون الحق ويشوهون الوقائع .

لماذا اذا حاججتهم بالمنطق الواقع تجاهلوا البراهين ، واذا شكوتهم اعرضوا عنك كأنك تخاطب الصم البكم ، واذا قاومتهم فتكوا بك ، واذا عاهدتهم نكلوا وبطشوا وقتلوا وستروا مخازيهم (بمضابط) يلفقونها ويمضونها من السذج والجهلاء والمسجونين ، تبريرا لعملهم ؟ .

يقولون انتخبوا ممثليكم ثم يلجأون الى القوة والتزوير والخداع لاخراج انصارهم ومواليهم ، واذا عجزوا الغوا الانتخابات او حلوا المجالس .

يقولون عفونا عمن قاومنا ، فاذا استسلم اليهم سجنوه واذا جاءهم طالب العفو اوقفوه وحاكموه واقتصوا منه لان الغاية عندهم تبرر الواسطة ، وليس للسوريين في ذمتهم ذمة ولا امان .

يعمدون للانتقام والفتك والاضطهاد باسم سلامة الجيش والتآمر على الحكم والانتداب او الاتهام بالدعاية للاجنبي والاخلال بالامن او تهريب السلاح ، فما الامهم وما اكذبهم!. أارشاد وهذه ذهنية الفرنسيين ؟ ووصاية وهذه اعمال المتمدنين؟ وبماذا نحكم عليهم؟!!!

لم نذكر فسقهم وتشويقهم الى فتح المقاصف (البارات) وبيوت الدعارة وتأسيسهم اياها في كل مدينة وفي كل محل وجدوا فيه ، ولا فتح الخمارات واباحة الخلاعة واللادينية باسم الحرية والمدنية ، ولا عددنا تعديات الجنود والموظفين على الناس وامتهانهم من يعاملهم فذلك شيء كثير نخجل من ذكره ولكن ليس بغريب ان يأتوه غير مبالين ، واذا كان ثمة من امر آخر يجب ذكره مضافا الى ما لهم من المصائب والغرائب ، فهو قبولهم الهدايا واكلهم الرشوة وسوء تصرفهم باموال الامة فالفرنسيون لا يقلون ارتكابا عن رجال الحكم البائد ، ولا يهمهم شرف الوظيفة ولا واجب الامانة ولا مسؤولية القانون في سبيل الحصول على المال .

ومن المحقق ان معظم التعيينات والتوصيات والمحسوبيات يتقدمها المال ، وان كل مسألة لا يحل عقدتها الا المال فهو بطلها الوحيد ، وان لم يكن ، فلابد من المرأة والخمرة والهدية وهذه كما قال عنهم فولتير في كتابه (البسيط) مفاتيح قلوبهم ومفاتيح ابواب حكومتهم .

فهل لجمعية الامم ان ترفع عنا انتدابها المشؤم ووصايتها الكاذبة ؟ وهل تأمر ممثلها (فرنسة المستعمرة) ان تتركنا وتنسحب من بلادنا بقضها وقضيضها وعجرها وبجرها ، فلا نريد ارشادها ولا مساعدتها ولا بقاءها .

الثورة ايها الفرنسيون تعلمون اسبابها ومسببيها وانتم منهم ، انها صنع يدكم ، وليست من صنع يدنا ، اكرهنا على خوضها دفاعا عن كرامتنا وحقنا وشرفنا وحياتنا .

اما انتم فأوجدتموها وشعلتم نارها لابتذاذ الاموال وقتل الزعماء وتثبيت قدم الاستعمار ، ادعيتم انها حرب احزاب ومنازعات طائفية ومخاصمات دينية — كما ادعى ممثلكم ده جوفنيل — والعالم يعلم ، ونحن لا نكذب ، والسماء تشهد ، انها حرب للخلاص من انتدابكم وظلمكم ، انها حرب للحرية والاستقلال ، فلا تواربون ولا تتقولون .

شكوتم ظلم الالمان وتعديهم على اوطانكم ، والحقيقة انكم اظلم منهم واكثر تعديا على غيركم ، فعلتم بنا ما لم يفعله الالمان بكم ، فانتظروا الساعة ، وعلى الباغي تدور الدوائر .

لا ادري الكم ضمير ذو وجهين ، ام عقل ذو مقياسين ، ام انتم مسوخ لهم صورتان واحدة تشبه الانسان والاخرى تشبه الحيوان ، في بلادكم بشر متمدنون ، وفي بلادنا

ذئاب مفترسون اصنعوا ما شئتم فلن يتفق الضدان ، وحاولوا ما استطعتم فلن يأتلف الحملان والذؤبان ، وستدور عليكم الدائرة ، وتذوقون شر ما جنت ايديكم ، وينالكم ما نال من سبقكم (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) .

انظروا الى السوريين بعين الاستخفاف او بعين النقمة او بعين العداوة والبغضاء ، فلا يضيرهم ان يحتملوا بلاءكم ، ويصبروا على عدوانكم وشططكم مدة من الزمن ، ولا يعجزهم ان يموتوا دفاعا عن حقوقهم واوطانهم .

ان الاستقلال لايعطى ، ولكن يؤخذ ، ولا يبنى بالوعد والخيالات ولكن بتضحية الاموال واجسام الرجال ، وعزائم الامة لاتقوي وتثبت الا بالمصائب والآلام .

ولا يقيم على ضيم يراد به　　　الا الاذلان عير الحي والوتد

* * *

انتهى البحث عن الميثاق الوطني وعن ذهنية الفرنسيين المستعمرين ، واعتقد ان القارئ لا يكفيه ما اوردته عن الجهود السياسية حتى سنة ١٩٢٦ ، ولكن ما حيلتي وانا في سجن (ارواد) لاتمتد يدي الى كتاب او وثيقة ، فليعذرني اذاً ، وليتقبل ما اهديته اليه ويستر ما فيه من هفوات وانا المقر بعجزي والراجي لامتي السؤدد ، والفوز والنجاح والسلام

وكتب في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٦

(في سجن ارواد)

ملاحظة واعتذار

كتبت هذا الكتاب سنة ١٩٢٦ وانا في سجن جزيرة ارواد ، واحمد الله اني عشت حتى رأيت البلاد قد استقلت استقلالاً تاماً ناجزاً ، والامة قد تحررت من اسر العبودية ونالت سيادتها السياسية والشرعية في الخارج والداخل كاملة غير منقوصة ، وكنت ورفقائي في ذلك التاريخ سجناء لاننا رفضنا الانتخابات التي اعلنها المسيو (ده جوفنيل) للشعب السوري بعد مجيئه من فرنسة وغايته منها انشاء مجالس تمثيلية تؤمر فتطيع وتقرر فصل بعض المحافظات عن العاصمة تنفيذاً لخطة دبرها ولكنها خابت بدعوتنا الناس الى مقاطعة الانتخابات والاحتجاج والقيام بالتظاهرات وبمقاومتنا للمداورات التي بانت نتائجها فيما بعد .

وفي سجن ارواد وقد قضينا في غرفه المظلمة اربعة اشهر حرمنا الفرنسيون كافة وسائل القراءة والاطلاع وحظروا علينا جلب الصحف السياسية والمجلات والكتب العلمية وكنا معرضين علاوة لغائلة موظفيهم الذين كانوا يهبطون الى السجن دون علم منا ويفتشون غرفنا وجيوبنا ، ويتحرون امتعتنا علهم يعثرون على شيء محرم ربما يصلنا من الخارج فنعمد الى افساد سياستهم وخططهم !!!

ولما كانت الحياة كلها جهاداً مستمراً وكان من حق الحياة ان لا ينقضي الوقت عبثاً وان كنا في السجن افتكرت في عمل ينقذنا من كدر الفكر وضيق النفس ويعزينا منذ منعنا من الدفاع عن حريتنا وحق امتنا فلم اجد غير الكتابة عن جهادنا السياسي وما سبقه من ادوار وما كان للثورة من عوامل ونتائج وما هي آلامنا وآمالنا وماذا يجب ان نقوله للامة وللاجيال الآتية اذا دعتنا الاقدار الى مفارقة الديار ، فاخذت القلم وبدأت بتسطير ما كانت تلهمني اياه العاطفة المتأججة وما يوحيه الي الفكر الثائر ، وكانت الفكر تتوارد

فأخطها كما هي دون ترتيب ولا تبويب ولا اتباع لمنطق السياسة وتسلسل التاريخ ،وعذري انها للتفريج والذكرى وليست للبحث والتحقيق وكفى .

وبعدما انهيت ما ساعدني عليه الوقت وكان الامر قد صدر باخراجنا من السجن واعادتنا الى بيوتنا دون قيد ولا شرط اخفيت الاوراق خشية من وقوعها بيد المفتشين الذين اعتادوا ان يفتشونا كلما مررنا بباب القلعة ، تركنا السجن في اول ايار سنة ١٩٢٦ وشاء الحظ ان لا نفتش وان تبقى الاوراق سليمة ، وان نعود ويستمر جهادنا في دفع عسف الفرنسيين وظلمهم ، ولما انتهى امرهم في بلادنا وامروا بالجلاء عن ارض الوطن المقدس بعد ان عاثوا فيه فساداً وتخريباً مدة خمس وعشرين سنة ورحلوا عنه في ١٧ نيسان سنة ١٩٤٦ مطرودين بموظفيهم ومستشاريهم ، ومندوبيهم وجيشهم وبقضهم وقضيضهم الى بلادهم رحيلاً لارجعة بعده ، قلت حان الوقت لاخراج الاوراق من مخبئها بعد ان زالت العلة المانعة عنه وحق عليّ ان اطبعها ثم ترددت في الامر بادئ بدء وحجتي ان القوم ولو الادبار واستقلت الديار واصابت سورية غرضها من مقاومة انتدابهم ومحاربتهم وقضت على تدابيرهم وسلطتهم فما الفائدة من كشف سوآتهم وذكر اعمالهم ونشر ما كان بيننا وبينهم ! ولكن الكثيرين ممن اطلعوا على الكتاب لم يقروا هذا الرأي بل قاوموه وقالوا يجب اطلاع اهل الجهاد ومحبي الوطن على ما حواه فهو شاهد على واقع الحال وبيان لجهاد لم ينقطع وخطة لاعمال يجب ان تستمر حتى تستقر البلاد وتتألف فيها الاحزاب ذات المبادئ والعقائد وتقوى فيها الحياة الدستورية وتعالج قضايا الشعب بالطرق الرشيدة وتؤسس النهضة المرجوة على اسس صالحة ،فالكتاب وان لم يطبع في حينه وان كان ليس بمدونة تاريخية تستقصي ما كان منذ الاحتلال حتى يومنا الحاضر فهو على كل حال بحث خاص جامع لشتى الفوائد تناول الجهاد السياسي وساق انباء الثورة وبحث عن عواملها ونتائجها وتناول اموراً اخرى تهم الجيل الحاضر وتهم الجيل الاتي فيجب ابرازه للوجود ، ولما الحوا وشوقوا ولم اجد محيصاً عن اجابتهم قبلت رأيهم ونزلت على حكمهم وعزمت على طبعه دون زيادة او نقصان وفضلت ان لا الحق به ما تتابع من الوقائع والاحداث خوف الخروج عن

المقصود الاول تاركاً ما يجب تدوينه الى مدونات اخرى تتسع لحوادث قوم بلينا بهم مدة ربع قرن جاؤا في غضونها بكل سيئة وخزية، فان وجد بعض الحريصين على الاساليب العربية وكلماتها في هذا الكتاب ما يغضبه ففيه من تاريخ الجهاد السياسي في سورية ما يرضيه رغم ما فيه من عيب ونقص ، واختمه بالثناء والشكر لمن شجعني على نشره وتخليد ذكره والسلام

حلب : في ١٤ تموز سنة ١٩٤٦ .



جدول الخطأ والصواب

صفحة	خطأ	صواب
٢	اشر الناس	شر الناس
٩	سياسية كانت ام	اكانت سياسية ام
١٠	النوادي	الانديه
١١	لا تنفع من	لا تدفع
١٣	السعاوة	السعاة
١٧	وانتباه	وانتهاء
١٩	خرى	اخرى
١٩	كان لا يزال	كان ولا يزال
٢٤	الدولة	الدول
٢٥	الدعابه	الدعاية
٢٦	بعواهبهم	وبعواهبهم
٣٤	اعناء الروب	اعناء الروح
٣٦	وكان والانسان	وكان الانسان
٣٧	لا يحوزون	لا يجوزون
٤٧	قوى الاول	قوى الدول
٥٨	الى سنة ١٩٣٢	الى سنة ١٩٢٢
٦٢	من حجر	من جحر
٦٤	عز الدين	علاء الدين
٧٠	ولا ُبيوت	ولا بيوت
٧٤	لتشهير	لتشمير
٧٦	ولا يكلمنهم	ولا يكلمنهم
٨٥	رقائع	رفائع
٨٥	عبد القادر الاتاسي	عبدالقادر مراد
١٠٤	اصروا ان	اصروا على ان

ما للمؤلف من كتب في القضية السورية

---

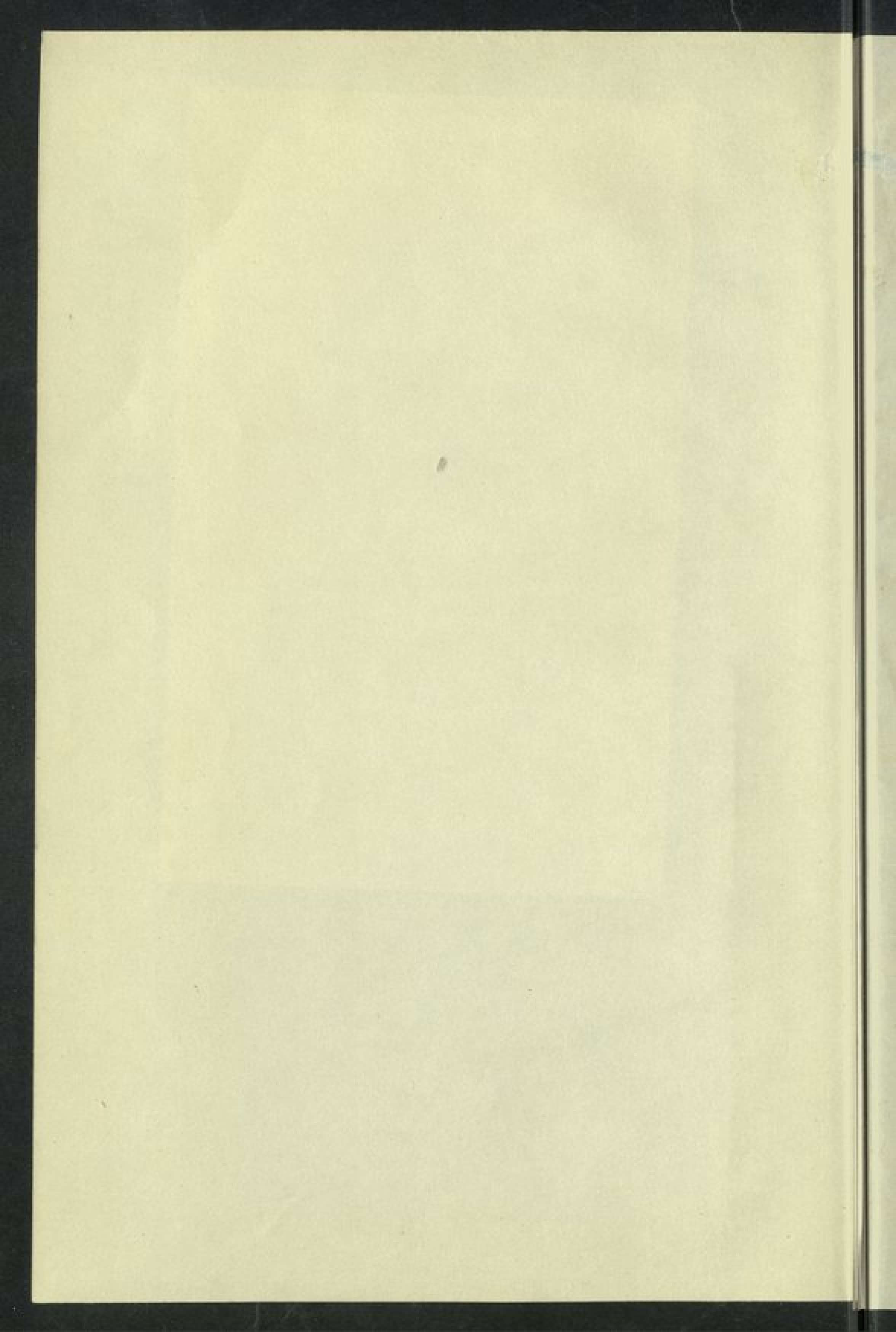
١ الرد على بيانات بونسو — طبع سنة ١٩٣٥

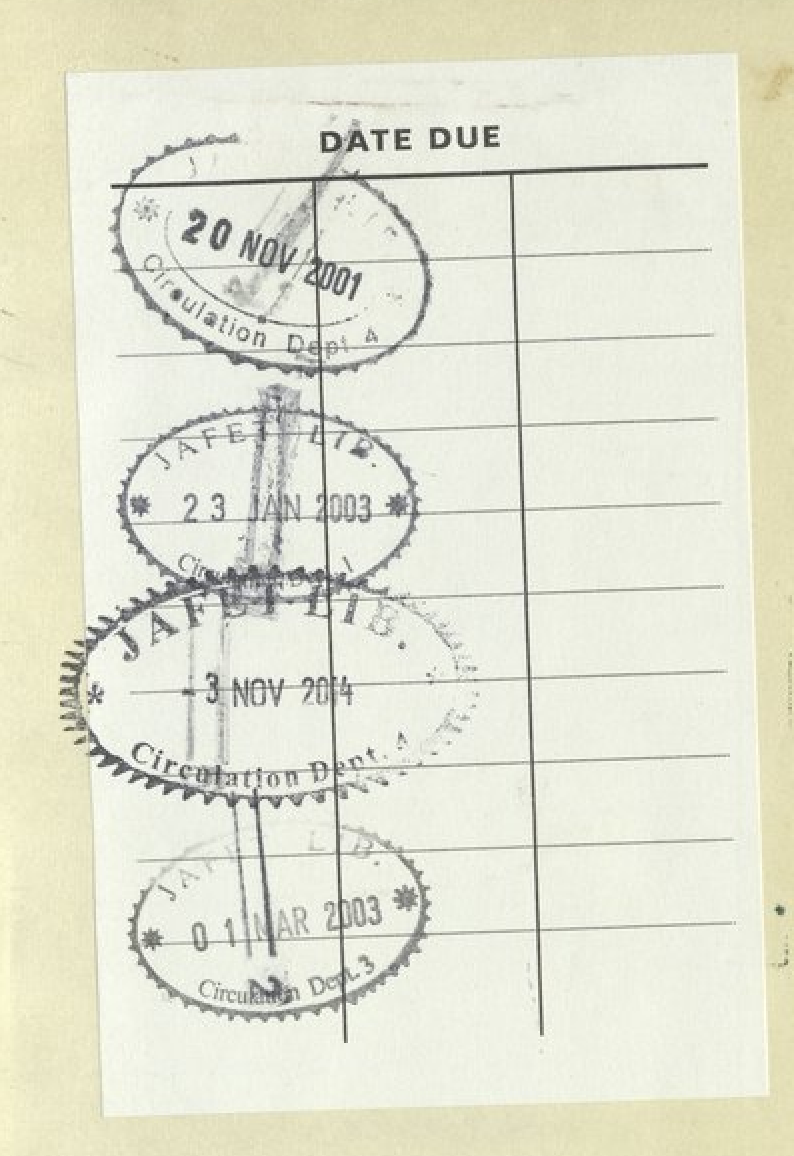
٢ الجهاد السياسي — طبع سنة ١٩٤٦

٣ تنبيه اولي الالباب الى فظائع الانتداب — تحت الطبع

٤ (المراحل) او الانتداب ايام بونسو وده مارتل « ٥ » اجزاء

٥ اصول الاستعمار بين الأمم




DATE DUE
20 NOV 2001
Circulation Dept. 4
JAFET LIB.
23 JAN 2003
JAFET LIB.
3 NOV 2014
Circulation Dept. 4
01 MAR 2003
Circulation Dept. 3



